***

أجمِلْ بهـا من افكار تسكّن جأش الآباء وتطمّنهم عن مستقبَل اولادهـم . وتغنيهم عن بذل المال بكلتا الحفنتين ! أجمِلْ بهـا من افكار أبتَ الّا مناصرة الضعفاء على من اغلظوا عليهم وثاق التهذيب ! . .

ولكن وددنا من خطيبتنا لو أشبعت الكلام في ذاك الموضوع ، فجلّتهُ من جميع وجوهه ولو فعلت لهان علينا المقارنة بين تهذيب الناشئة كما ألِفناهُ بمزاياه وعيوبه ، وبين الخطّة التي ابتدعتها مع مزاياها وعيوبها . . . هَبْ ان لم تخلُ من آفات ! . .

ولعلَّ سيدتنا تلظّت وتلهّبت على مدارسنا لِما أُوتيت من دماثة الاخلاق وسماحة السجيَّة فلو لم يكن سوى ذلك لأثنينا على لطف طباعها وشيمها المحمودة . . غير ان الخطيبة ركبت الامر على غير بيان فومت الكلام على عواهنهِ . وكأني بها اغفلت ذاك المبدأ المنطقي بعد ان تصفَّحته في سِفر الطبيعة ، وهي تجول في ارياقها البديعة ، وهو ان الآفات العرضيَّة لمَّا لا يُكترَث لهُ بالنسبة الى جوهر الامور . فتلك الاعراض ربَّما طرأت اليهِ بعد تكوينهِ ، او بارحته قبل عطَبه . ومن ثمَّ تميَّزتْ عنهُ . — ومثل ذلك في كوننا الاجتماعي ، ألا ترى كل ادارة ولو برزت على أكمل منوال ، كثيراً ما تعتريها نقائص تكون تتسرَّب اليها من الخارج فتشوّه وجهها ، وتعيق حركتها ، وربما ذهبت بحياتها ، ولو وقف العاقل على جليّة الامر لَما نسب الى تلك الادارة خلـلًا اصابها بالعرَض من الخارج

اجل نسلّم بوجود نقائص عديدة جسيمة داخلت ولا تزال تداخل بعض معاهدنا فمنها ما اضحت عقيمة النتائـج ، مضرّةً للهيئة الاجتماعيّة . . . . ولو وددنا لتلك المدارس المتورّطة التملُّص من ورطتها ، وأمّلنا لها نجاحاً هي جديرة بهِ ، لَوجب ان نُعمل المبضع في اعضائها الفاسدة فنبيد الـداء « العرضي » دون ان نهلك معهُ الجسم والحياة . . كما تزعم الخطيبة برأيها المتطرّف

وقد شطَّت في غلوائها وبالغت في ضلالتها ، باطلاقها حكمها على سائر المعاهد طُرّاً دون امعان وروِيّة او نسيَتْ تلك المحنّكة أن بلادنا حظيت بمدارس حافلة بالشبيبة توافيها من اقاصي الاقطار ، رغبة منهم في العلوم المتقنة والمبادئ الراهنـة ؟ فلو لم تكن المعاهد على شيء من الجد فكيف اصبحت محطّ ثقةِ الآباء وآمـال

الابناء ؟ ولو كانت سجناً تموت فيه الشبيبة وُجوماً، وتذبل على مقاعده زهرتها جزعاً، فما معنى ذاك الحبور والجذل والبهجة التي تبدو على محيًا هؤلاء الشبان ؟... وكم وكم شاهدنا اكثرهم ، وهم على وشك الوداع والمبارحة لها ولمعلّميهم، يُعربون عن اسفهم وكآبة قلوبهم !.. فيتبعدون وذكر «سجنهم» يؤانسهم ويسامرهم في حياتهم الجديدة ، يترصّدون فيها فرصة تجمعهم ولو ساعةً باساتذتهم وسالف رفقائهم !...

لعمري ما ذاك الامر الخارق ؟ سجين يهوى سجنه . وموثق يحب سلاسله !..

...

وهنا امرٌ آخر لعلّ الخطيبة لم تقف عليه في تنزاهتها . او ذهلت عن ذكره وهو ان الاعمال تشفّ عن حقيقة علّتها كما ان الثمار تكشف عن طبيعة شجرتها . — قد ثبت لدى كل ذي بصيرة وخِبرة أن عدداً اوفر من ان يُحيط به احصاء من متخرّجي مدرستنا بعد ان جاهدوا بعض الجهاد في مضمار الحياة، ما لبثوا بان فاقوا على اترابهم، فحازوا قصب السبق ، وما زالوا يجرون الى ابعد الغايات حتى وصل بعضُم الى ما تمنّاهُ منها . وكان فوزُ هؤلاء النوابغ للمعاهد التي تخرّجوا فيها اقوى داعٍ للمفاخرة

...

اما الخطة التي فكّرت السيّدة المتشدّقة في تعزيزها فانّنا نخالها من الخوارق . ولو لم يبلغنا عنها ، أنها تعاشر الناس وتؤالفهم ، لقلنا إنها لا تخلو من اللمّم والوسوسة

نسيَتْ ان الفتيان ، مهما أوتوا من العقل والحزم وسائر القوى الغريزية ، فليسوا في غنى عن التثقيف والتهذيب . فـانّ قلوبهم وان لانت وحَسُنت لا يكاد ينمو فيها الزرع الّا وتكتنفه الاشواك فتضيّق عليه حتى تخنقه . لا مشاحّة ان غرائز نفيسة اودعتْها العناية الالهية قلوب فتيان وفتيات ان أُهملت لا تلبث ان تفسدها الاميال المنحرفة .. ولا تزال ان تعيث فيها فساداً حتى تذهب بقوتها ونضارتها وحياتها . — نسيت ان الطبيعة لما فيها من جراثيم الفساد لن تأتي بشيء مستحسن ، لو تُركت وشأنها

وددنا لو فطنت الخطيبة لتلك الحقائق اللامعة — وددنا لو باشرت الحقائق البشرية كما يرمقها البشر ، لا من خلال تصوراتها ، بل مباشرةً باعينها — وددنا لو نظرت في الكون بما هو عليه ، من التناسق والتآلف والقوى والآفات — وددنا.. —

وليتها بعد سالف تهوّرها في سبيل الضلال، ترجع الى منهج الحق فتهتدي به، ونطالب اليها بالحاح الّا تُملي لشباننا فتُورطهم في الغرور، ولا تسوّل لهم التغرير فيزيغوا عن وضح المحجّة. ثم نوعز اليها ألّا تتأتى من الآن فصاعداً منابر الخطباء قبل ان تمحص كلامها وتعرضهُ على بودقة السداد ومحكّ الرشد والانتقاد

صورة ايمان السيّد اغناطيوس متى

بطريرك السريان اليعاقبة (١٧٨٢–١٨١٧)

نشرها حضرة القس اسحاق ارمله

تمهيد

في خزانة الكتب خاصة كنيسة السريان الكاثوليك بماردين صورة ايمان السيّد اغناطيوس متيوس او متّى بطريرك السريان اليعاقبة واقراره بحقائق الكنيسة الكاثوليكيّة. وهي مكتوبة بخطّ يده بتاريخ سنة ١٨١٥ وقد روينا اخبارهُ في المشرق عام اوّل (ص ٦٦٥) وذكرنا هناك هذا الاثر المحفوظ في خزائن الدار البطريركيّة فاستنسخناهُ واليك نصّ صورة الايمان بحروفها [١٠١]

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

اعلم ايها الشعب المستفهم أرشدنا الله وايّاك بنوره الساطع آمين

نبتدئ بوجوب الحمد لله الذي على رجائه ابتدأنا بشرح حقائق الايمان البطرسي القاثوليقيّ الذي اعلنهُ الله ذاته للطوباوي بطرس هامة الرسل وصرّحت به تقاليد السيد المسيح نفسه واستودعهُ الى خلفائه وهم الاحبار الرومانيّون القائمون والثابتون في الكرسي الرسولي الروماني المؤسس والكائن في بيعة رومية التي شادها المسيح وركّلاؤه اعني الطوباوي بطرس وسائر الرسل. ولذلك اشهد بكليّتي وبكل عزمي

انَّ كلّ من هو خارج عن هذه البيعة المقدّسة الرومانيّة لا مناص ولا خلاص له البتّة

﴿أمّا بعد﴾ فاذ كنتُ انا الحقير في رؤساء الكهنة المدوّن اسمي بذيله مترقباً الفرصة اثناء بطريركيّتي لاشهار الايمان الارثوذكسيّ القديم الحاوي سبيل الخلاص المستقيم لم يسهل لنا ذلك الى حين شيخوختنا وذلك لسبب السجن والقلق والحوادث المتراكمة علينا ولاسيما لتفاقم الاضطهادات والمجادلات الصائرة بين طائفتنا وغيرها ممّن كانوا ينسبون الضلال والطغيان في الرأي لطائفتنا السريانيّة

ولكن بالحقّ والصواب ما انتبهنا الى ضلالة هذا الشعب الغفير ونكرانه حقائق دين المسيح وسُنَنِهِ وابتعادهِ عن الخلاص بعداً شاسعاً. فابتهلنا عند ذلك الى ابي الانوار ليعين ضعفنا ويؤيدنا لتتميم بغيتنا ويُيَسّر لنا سبيل الوصول الى مينا الخلاص ويخمد عنا جميع الغوائل اللاحقة بنا لنستطيع اشهار هذا الايمان الارثوذكسيّ المقدّس باسعاف المراحم السامية

فحينئذٍ حركتني النعمة السماويّة لتبيان واثبات الحقائق الدينيّة وحصلَتْ لي واسطةٌ ملائمة لتكميل مقصودي بوجود غصن ولدنا المبارك المطران بهنام (١ الذي اقمناه بأمرنا ومساعينا ووَضْع يدنا بطريركاً على هذه الطائفة السريانيّة المغشوشة. وفرحنا جدّاً لما شاهدنا هذا الاخ يسعى في انتشار الايمان البطرسيّ المقدّس وفي تكميل أرَبنا. وسلّمناه هذه الوثيقة لعلّهُ بواسطتها تنهدم الحصون ويكون كمال المأمول. وليكن معلوماً ان كلّ ما اوضحناه هنا لا يقال قسراً او جبراً عليّ بل انما اوضحناه تبريراً لذمّتنا وصيانةً للايمان الكاثوليكيّ المقدّس المثلوب منّا ظلماً وعدواناً وخشيةً من احكام الله العادلة الرهيبة قاصدين بذلك خلاص نفوس الخراف المستودعة لنا ونجاتها من الهلاك الابدي. ونأمر امراً قاطعاً بالجزم والحرم على كلّ من يقاوم ويضادّ عبوديّتنا. وليكن ختام خطابنا الى ههنا لانه قد قيل «قليل من الخمير يخمر العجنة كلّها» (١ كور ٥ : ٦) وهذا كافٍ لكلّ من يرغب خلاص نفسه. ونسأل الله العناية والتوفيق في الوصول الى كمال المقصود. وها اننا نبتدئ في شرح اعتقاد الايمان الارثوذكسيّ :

---

(١) اطلب المشرق ١٩٢٣ (ص ٦٦٥)

١ً انا اؤمن ايماناً ثابتاً بجميع ما يتضمّن في قانون الايمان الذي تستعمله الكنيسة المقدّسة الرومانية

[وهنا اورد البطريرك قانون الايمان حرفياً ثم استلى قائلاً] :

« اني اكرّم واقبل المجامع العامّة »

٢ً (واقبل) المجمع الاول النيقاوي واعتقد بما حكم فيهِ على آريوس المحروم ذكرهُ وان الرب يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد المولود من الآب منذ الازل

٣ً واقبل المجمع القسطنطيني الاول وهو الثاني بالترتيب واعتقد بما حكم فيهِ على مقدونيوس المحروم ذكرهُ . وان الروح القدس ليس عبداً او خليقة-بل-هو ربّ والاه ولهُ لاهوت واحد مع الآب والابن

٤ً واقبل المجمع الاول الافسسي وهو الثالث بالترتيب واعتقد بما حكم بهِ على نسطور المحروم ذكرهُ وأقرّ بان اللاهوت والناسوت هما في اقنوم واحد اي في اقنوم ابن الله باتحاد لا يوصف ولا يُدرك وهو مسيح واحد ولهذا فمريم العذراء الطوباوية هي بالحقيقة والدة الله

٥ً واقبل المجمع الخلقيدوني وهو الرابع بالترتيب واعتقد بما حكم فيهِ على اوطيخا وديوسقورس المحروم ذكرهما واقرّ بان ابن الله الواحد سيّدنا يسوع المسيح هو هو كامل باللاهوت والناسوت الاه حقّ من نفس ناطقة وجسد واحد . مساوٍ للآب في الجوهر حسب اللاهوت وهو بعينهِ مساوٍ لنا بالناسوت ومشابه لنا بكلّ شيء ما خلا الخطيئة . وهو مولود من الاب قبل الدهور من جهة اللاهوت . ووُلد حسب الناسوت من العذراء مريم والدة الله في آخر الأيّام من اجلنا ومن اجل خلاصنا . فالربّ المسيح الواحد الابن الوحيد يجب ان يُعرف انهُ في طبيعتين بغير اختلاط ولا تغير ولا انقسام وقد ثبتت الطبيعتان باقنوم واحد . وهو اقنوم الابن الوحيد الاله الكلمة الربّ يسوع المسيح

٦ً واعترف ان لاهوت سيدنا يسوع المسيح هو غير قابل الآلام والموت كما تحدّد في المجمع المذكور وفي رسالة القديس مار لاون البابا الرومانيّ الذي نادى بهِ الآباء في ذلك المجمع بعينهِ قائلين ان ماربطرس الرسول قد تكلّم بفمهِ . وحُرمت

بذلك التحديد بدعةُ الذين كانوا يزيدون على التقديسات الثلاث « الذي صُلب عوضنا » لانهم بقولهم هذا يعتقدون ان طبيعة الاقانيم الثلاثة الالهية يمكنها ان تتألم وتموت

٧ اقبل المجمع القسطنطيني الثاني وهو الخامس بالترتيب الذي تكرَّرت فيهِ قضيّة المجمع الخلقيدوني المذكور

٨ واقبل المجمع القسطنطيني الثالث وهو السادس بالترتيب واعتقد بما حُكم فيهِ على المنوثليّين القائلين ان في المسيح مشيئة واحدة . واعترف ان في سيدنا يسوع المسيح مشيئتين وطبيعتين وفعلين بلا انقسام ولا تغيير ولا انفصال ولا اختلاط . وان المشيئة الانسانية ليست بمخالفة لارادتهِ الالهية القادرة على الكل بل هي مطيعة لها

٩ واقبل المجمع الثاني النيقاوي وهو السابع بالترتيب واعتقد بما حكم فيهِ على محاربي الايقونات والصور المقدّسة وانه يجب علينا ان نحوي عندنا صور المسيح والعذراء والدة الله وسائر القديسين ونكرّمها

١٠ واقبل المجمع الرابع القسطنطيني وهو الثامن بالترتيب واعتقد انه بحقّ حَرَم فوتيوس واستردّ القديس اغناطيوس البطريرك

١١ واني اكرّم واقبل المجامع العامّة الاخر التي اجتمعت باذن البابا الروماني حسب القوانين وتثبّتت بسلطانه خصوصاً المجمع الفلورنتيني . واعتقد بما حُكم فيهِ اعني ان روح القدس منبثق من الآب والابن ازليّاً كأنّهما مبدأ واحد لهُ ولذا فقد زيدت في قانون الايمان «ومن الابن» بكلّ صواب للايضاح

١٢ اعتقد ان جسد المسيح يتقدّس حقّاً في الخبز القمحي خميراً كان او فطيراً . وان الكهنة ملزومون ان يقدّسوا على كليهما كلّ واحد حسب عادة كنيسته غربيّةً كانت او شرقيّة

١٣ ثم ان التائبين حقيقة ان ماتوا بمحبّة الله ولم يتطهَّروا تماماً تتطهّر ارواحهم في عذابات المطهر . ولكي ينجوا منها تفيدهم معونة المؤمنين الاحياء اعني القداديس والصلوات والصدقات والفضائل والاعمال الصالحة . . . امّا نفوس الذين تطهروا بعد سقوطهم في الخطيئة فانها تُقتبل في السماء وتعاين الله جهراً . كل واحدة حسب استئهالها . امّا الذين يموتون في الخطيئة الفعلية المميتة او في الاصلية فلوقتهم يهبطون

الى الجحيم ولكن عقوباتهم مختلفة

١٤ً ثم ان الحبر الروماني لهُ الرئاسة على المسكونة كلها . وهو خليفة مار بطرس رئيس الرسل ونائب المسيح حقًّا ورأس البيعة جميعها وابو المسيحيّين اجمعين ومرشدهم وقد استلم في شخص مار بطرس السلطان الكلي من سيدنا يسوع المسيح ليرعى ويهدي ويدبّر جميع البيعة حسبما يقال في رسائل المجامع المسكونيّة وفي القوانين المقدّسة كما يشهد المجمع الفلورنتيني المذكور

١٥ً واعتقد ايضاً ان نواميس الشريعة العتيقة قد بطلت بمجيء ربّنا يسوع المسيح وان تحريم الرسل أكل ذبائح الاصنام والدم المخنوق كان واجباً لتلك الازمنة فقط

١٦ً واكرّم واقبل المجمع التريدنتيني واعتقد بكل ما حكم وشرح فيه خصوصاً في مسئلة ذبيحة القداس والاستحالة

١٧ً واعتقد ان اسرار الشريعة الجديدة هي سبعة وكلها تمنح النعمة . وان المعمودية والميرون ودرجة الكهنوت لا يمكن ان تتكرّر

١٨ً وان المعمودية ضرورية للخلاص ولاجل ذلك يجب ان تُعطى حالًا دون تمهل ولكلّ من كان ان يعطيها في خطر الموت بالمادّة والصورة المفروضة

١٩ً ثم ان رباط سرّ الزيجة لا ينحلّ وان كانت جائزة مفارقة الزوجين بالمضجع والمساكنة لسبب الزنى والهرطقة او لاسباب اخرى ولكن لا يجوز ان يتزوّج احد منهما بآخر

٢٠ً ينبغي لنا ان نقبل تقاليد الرسل والكنيسة ونكرمها

٢١ً ثم ان السلطة على غفران العقوبات قد أبقاها المسيح في البيعة ويفيد استعمالها جماعة المسيحيين للخلاص

٢٢ً اني اقبل ما حكم بهِ مجمع مدينة ترنتو المذكور على الخطيئة الاصلية والتزكية وعلى عدد الكتب المقدسة العتيقة والحديثة

٢٣ً اني اقبل واعتقد بما تقبلهُ وتعترف بهِ الكنيسة المقدسة الرومانية واحرم وأرفض وألعن جميع الاضداد والانشقاقات والبدع المحرومة والمرفوضة والملعونة من الكنيسة المذكورة

٢٤ ثم اني احلف واعاهد بالطاعة الحقيقيـة للبابا الروماني خليفـة بطرس الطوباوي رئيس الرسل ونائب سيدنا يسوع المسيح

هذا هو ايمان الكنيسة القدسة القاثوليكية التي لا يمكن لاحد الخلاص خارجاً عنها . فانا الآن اعتقد بهِ بارادتي واتمسَّك بهِ بالحقيقة واحفظهُ واعترف بهِ الى آخر حياتي بمعونة الله . واجتهد بقدر قوَّتي ان كل رعيَّتي والذين هم تحت تدبيري يتمسَّكون بهِ ويعلّمونه ويكرزونه . وانا هكذا اعد وانذر واحلف هكذا الله يعينني وهذه الاناجيل المقدسة

المقرّ بما فيهِ

الحقير في رؤساء الكهنة متيوس

بطريرك السريان الانطاكي

جرى ذلك سنة ١٨١٥

[وفي آخر الصك الكتابة الآتية محفورة هكذا على ختم البطريرك متى]

ديار بكر	يا ربّ سهّل امور	الموصل
واورفه	مار اغناطيوس	وماردين
وحلب	بطريرك السريان	ودير الزعفران
والشام	متيوس	

مطبوعات شرقيّة جديدة

L'Abbé P. Pourrat: La spiritualité Chrétienne. I. Des Origines de l'Eglise au Moyen Age, 6ᵉ *éd.* — II. Le Moyen Age, 4ᵉ *éd.*, *in*-12, *Paris, J. Gabalda, chaque vol.* 10 *f*ʳ

التآليف الروحيَّة في اوائل الكنيسة وفي القرون الوسطى

حبَّذا الكتاب الذي لا غنى عنهُ للكهنة والرهبان واهل التُّقى ليعرفوا ما نُشر في الكنيسة الشرقيَّة والغربيَّة من التآليف الروحيَّة مع وصفها وتعريف مؤلفيها وتأثيرها في نفوس المسيحيين وذلك منذ نشأة الكنيسة وعهد الرسل الى اواخر القرون

الوسطى في الجيل الخامس عشر. وقد اصاب هذا الكتاب رواجاً عظيماً حتى تعدَّدت طبعاتهُ مع قرب عهدهِ فبلغ الجزء الاوَّل منهُ الطبعة السادسة والجزء الثاني الطبعة الرابعة . ولا يزال مؤلّفهُ يزيدهُ تحسيناً في كل طبعة ويستفيد ممَّا يُنشر في العالَمَيْن من هذا القبيل .

Fr. Lemineur: Mystères de la Nature-Lumières de la Foi. 1 *vol. in*-16, *illustré, Paris, de Gigord*, 1922

اسرار الطبيعة وانوار الايمان

قد وُضع هذا الكتاب لافادة الشبيبة فان صاحبهُ يصف لهم على طريقة شائقة اسرار الطبيعة وعجائبها المادّيّة ثم يرقّي بعقولهم الى ما فوق ذلك من ضياء الايمان . وقد قسم كتابهُ الى ثلثة اقسام وصف فيها قدرة الله غير المتناهية ثمَّ عقلهُ غير المتناهي ومحبّتهُ غير المتناهية فبيَّن ما بثَّهُ في الكون من آثار قدرتهِ ومجالي عقلهِ ومظاهر حبّهِ . وهناك فصول لطيفة في وصف الفلك وفي التاريخ الطبيعي وتاريخ التمدُّن تفيد المعلّمين والمتعلّمين معاً . والكتاب مزيَّن بالتصاوير الحسنة

E. Baudin Prof. à la Fac.de Théologie Cath. de l'Univ. de Strassbourg : L'Evangile. 1 *vol. in*-16, 1922, 2e, *éd., Paris, De Gigord*

الانجيل الشريف

غاية مؤلّف هذا الكتاب ان يقرّب للعموم مطالعة الانجيل المقدَّس وما يحتويهِ من اقوال واعمال ابن الله ليرتشد بها المسيحي ويتّخذها قاعدةً لسلوكهِ . فقد نقل النصَّ اللاتيني الى اللغة الفرنسويّة بكل تدقيق وهو يستفيد ايضاً من ترجمتهِ اليونانيّة ويضيف اليها شروحاً تاريخيَّة وادبيَّة من شأنها ان تُرسخ تلك التعاليم الخلاصيَّة في الاذهان والقلوب ل. ش

Dom Louismet O. S. B. — Le Mystère de Jésus. Gr. in-16, Paris, P. Téqui; Beyrouth, Librairie Chéhab, Prix 3f, 25.

سرّ يسوع

دون لويسماي راهبٌ بندكتي شهير بتآليفهِ الروحيَّة في الحياة الـدنيَّة وكأنّي بهِ قد وضع رأسهُ كيوحنا الحبيب على صدر سيّدهِ ليكتشف ما يكنُّهُ قلبهُ من الاسرار

المُحيية . وها هوذا يحاول ان يُعلن بتلك الكنوز الخفيَّة للنفوس المتعطّشة للكمال .
ففي تأليفهِ هذا الجديد بعد مقدّمات يبيّن فيها لقرّائهِ الطريقة المثلى لاعتبار شخص المسيح والاستقاء من مواردهِ العذبة يتخلّص الى وصف حياتهِ على الارض وما باشرهُ من الاعمال السامية في كلّ اطوار تردّدهِ مع البشر الى موتهِ وقيامتهِ وصعودهِ الى السماء ثمّ ما نجم عن امثالهِ لنهضة العالم من كبوتهِ ولنشر العيشة الفاضلة في كلّ اقطارهِ وبين كلّ أممهِ . فهذا الكتاب من شأنهِ ان يعزّز في القلوب محبّة الاله المتأنس ويبعث فيها قوّة جديدة لاقتفاء فضائلهِ الالهيَّة . وهو محرَّر بانشاء فتّان غاية في البلاغة والانسجام

Lelong (M^gr^) : Catéchisme de la Vie Religieuse 1 *vol. in-32, pp.* 216, 2^e^ *éd., Paris et Beyrouth, chez les mêmes, Prix* 2 *f^s^*

تعليم السيرة الرهبانيَّة

السيّد لولون كان اسقفاً على مدينة نيڤار في فرنسة وكان قبل وفاتهِ وضع كتاباً مفيداً للرهبان جمع فيهِ كلّ الابحاث اللاهوتيَّة والقانونيَّة التي ترشد طلبة الرهبانيّات الى معرفة واجباتهم ليقوموا بها كما ترغبهُ الكنيسة ويقضي بهِ الضمير . فجدّد خلفهُ طبع هذا الكتاب وبيّن فوائدهُ الجمّة ل . ش

Tissier (Mgr) : I. Les Femmes de Bien. Leurs influences, leurs prières, leurs vertus. — II. La Doctrine de nos Fêtes, Les Fêtes de circonstances. 1 *vol. in-12, Paris, les mêmes, Prix* 3 *f^s^ et* 7 *f^s^*, 50

نساء الخير – التعاليم الناتجة عن الاعياد

بين كتبة فرنسة للسيد المنسنيور تيسُّو مقام رفيع لكثرة تآليفهِ الاجتماعيَّة والادبيَّة والدينيَّة . وكان أتحف النساء بعدَّة مصنَّفات راقت لديهنَّ مع ما كان يعرضهُ عليهنَّ من فرائض الكمال الراقية وها هو قد ألحق كتبهُ السابقة بتأليف جديد من شأنهِ ان ينشّط النساء على كلّ الاعمال الخيريَّة بما يعرضهُ عليهنّ من امثال كثير منهنَّ ممَّن شرفن الدين والوطن بممارسة أجلّ الفضائل – ولسيادته كتابٌ آخر يحتوي خطبهُ التي فاه بها في حفلاتٍ مختلفة واعيادٍ اجتماعيَّة كإنشاء مشروع خيري ووضع حجر اوَّل لكنيسة وجلوس اسقف جديد وبركة جرس او ارغن وغير ذلك من المواسم

الطارئة عرضاً. وهو الآن يشتغل بتأليف خطب للاعياد الكنسيّة الرسميّة سوف تحظى كتآليفهِ السابقة بما تستحقهُ من الرواج

Feige (Chanoine) : Hâtons-nous de devenir des saints. 1 *vol. in-32, Paris, les mêmes, Prix 1 f*

لنسرعنَّ الى تقديس نفوسنا

هو النداء الذي وجَّهتهُ الكنيسة الى ابنائها في هذا الشهر المبارك بل توجّههُ اليهم كلَّ حين. فاحبَّ القانوني الاب فَيج ان يكرّر ذاك النداء. ويتوسَّع في معناه فوضع هذا الكتاب الصغير وبيَّن فيهِ الدواعي العديدة التي تضطرّ المسيحي الى نهج طريق القداسة كقصر الحياة ونعم الله اليهِ والدينونة والثواب. فعسى نداؤهُ يلقى آذاناً صاغية بين جميع ابناء الله

Rouzic (abbé) — 1° La Maison — 2° La Mère. 2 vols. in-32, Paris, chez les mêmes, Prix de chacun 5ᶠ, 50

١° البيت — ٢° ربّة البيت

هوذا كُتيّبان صغيرا الحجم كبيرا الفحوى كنّا نودّ ان نراهما في ديوان كلّ البيوت لجليل فوائدهما. فالاول يستقري كلَّ جهات البيت واثاثهُ ماديًّا وروحيًّا واقتصاديًّا على صفة جامعة بين الدقّة واللذّة لو استوفى اهل البيت شروطها اضحى مقدساً وبَيْنة للسلام والهناء. والثاني دليل مُمتع لربّة البيت فيرشدها الى جميع واجباتها نحو زوجها وبنيها وذاتها ويعظّم مرتبتها بمعرفة شرف الدعوة التي ندبها الله اليها في ذلك اذ تخدم الدين والوطن خدمةً تستوجب لها الثناء قدّام الله والناس ل. ش

P. Bonnetain: Officier et Apôtre, le Lieutenant Marcel Antoine. 1 *vol., in-12, pp. XXXIV-320. 1924, Paris, les mêmes, Paris, 7f*, 50

الضابط مرسال انطوان

قد اظهرت الحرب الكونيّة الاخيرة ما في قلب بعض الضبّاط والجنود الفرنسويين من عظم الفضل وسامي الفضيلة. والى مثل هؤلاء نعزي انتصار فرنسة اكثر من سلاحها ومدافعها. ومن جملة اولئك الابطال ضابط يُدعى مرسال انطوان دخل في

هذه الحرب كضابط ملازم واعتبر نفسهُ فيها كرسول يدعوهُ الله بتضحية نفسهِ وبقدوتهِ الصالحة ليكون مثالاً لجنودهِ وهكذا كان. وهذه ترجمة حياتهِ التي ختمها بميتة الابطال والقديسين معاً قد كتبها احد رؤساء الكهنة الاب بوتّنان ليخلّد ذكر ذلك الشهم. وفي الحقيقة لا يستطيع احد ان يطالع تفاصيل سيرة هذا الضابط الأَ يمجّد الله في قديسيهِ فيصرخ مع النبيّ (اشعيا ٥٩: ١) انَّ يمين الرب لم تقصر وهو عجيب في اوليائهِ

Abbé Ch. Quénet : L'Unité de l'Eglise. Les églises séparées d'Orient et la réunion des églises. 1 *vol. in-12*, 1923, *Paris, de Gigord, Prix* 5 *f*

وحدة الكنيسة . كنائس الشرق المنفصلة واتحادها

هذه محاضرات القاها الكاهن كينه في بعض نوادي باريس بحث فيها عن المسائل المنوطة بوحدة الكنائس . افتتحها ببحث لاهوتي عن عمل الروح القدس في جسم الكنيسة ثم أعمل النظر في مسائل تاريخيّة تتعلّق بهذه الوحدة كمسئلة رأس الكنيسة واصل الانشقاقات التي حدثت في الشرق لاسيما انشقاق بوزنطية وما طرأ على الكنائس الشرقيَّة من الفواجع المؤلمة . ثمَّ يتخطّى الى ذكر ما صنعهُ الباباوات ليحسموا داء الشقاق ويعيدوا لكنائس الشرق بهاءها المفقود. وهو يؤمّل ان احوال العالم الحاليَّة قد فتحت باباً جديداً لإزالة كلّ سوء تفهّم بين الشرق والغرب ويحضّ القرّاء على تقريب هذه الوحدة المرغوبة بصلواتهم وتضرّعاتهم . وقد وقع في الكتاب بعض الاغلاط كقولهِ مثلاً (ص٥٠) انّ البابا اناقليتوس عاش في القرن الاوّل للميلاد والصواب القرن الثاني (١٥٤–١٦٦) – ليس مجمع انطاكية سنة ٣٤٠ الذي حكم زوراً على القدّيس اثناسيوس بل مجمع صور سنة ٣٣٥ . وكان دخول اليسوعيين الى الاستانة مرّة اولى سنة ١٥٨٣ ليس ١٥٦٤ وهلمَّ جرّاً

Abbé J. Calvet: Le Problème Catholique de l'Union des églises. 1 *vol. in-12*, 1921, *Paris, de Gigord*

المطلب الكاثوليكي في وحدة الكنائس

يبحث هذا الكتاب كالتأليف السابق عن اتّحاد الكنائس بمركز الوحدة . لا

بل تقدّمهُ فان صاحبهُ كان اختار هذا الموضوع نفسهُ وعرضهُ على اهل باريس في كنيسة حضرة الآباء اللعازريّين وذلك في التساعيّة الحافلة التي تسبق عيد العنصرة واشاعها قداسة البابا لاون الثالث عشر لاستمداد اتّحاد الارواح من الروح القدس . فكان كلّ يوم من تلك التساعيّة يخطب في الكنيسة وميزاتها ولاسيما وحدتها كما انشأها السيّد المسيح ثم تتبّع تاريخ الكنائس وما اصابها من ضربات العدوّ الجهنّمي من قبل البدع والهرطقات في انكلترة وبوزنطية وروسيّة ثمَّ يسعى بايجاد الوسائط لشفاء هذا الداء العياء وقد قرب على ظنّهِ وقت الاتحاد . حقّق الله امانيهُ

Chavannes(E.):Fables chinoises du III^e^ au VII^e^ s. de notre ère, traduites, mises en vers et ornées de 4 dessins, 1 *vol., in*-12 *s. d., Paris, Editions Bossard, Prix* 4 *f^s^*, 80

امثال صينيَّة

المسيو شافان احد المستشرقين الحاذقين بلغة اهل الصين وآدابهم فاحبَّ ان يختار عدَّة امثال وقصص حكميَّة اقتطفها من كتبهم القديمة التي تتراوح بين القرن الثالث والسابع للمسيح فنقلها الى اللغة الفرنسويَّة ونظمها بالشعر وزيّنها بتصاوير صينيَّة رائعة من ريشة المصوّرة كوبوليس . فهذا اثر جميل من الشرق الاقصى يحسن بمواطنينا ان يعنوا فيهِ النظر ج . ل

I S. Le Paslier: 1° Un pari, pièce en 1 acte (3 f^s^, 50)— 2° La Foi qui sauve, pièce en 4 actes pour jeunes gens(5 f^s^) = Paul Chanson: S^t^ Jean Baptiste, mystère évangélique en 7 tableaux (4 f^s^, 50). *Ed. Spes, rue Soufflot, 17, Paris*

ثلاث روايات تمثيلية

انَّ محلّ سپاس اخذ على نفسهِ نشر روايات ادبيَّة يحسن بالشبّان ان يمثّلوها على المراسح. وهذه ثلثة منها . فالروايتان الاوليان: المشارطة والايمان الظافر وُضعتا للفتيات . امَّا الاخيرة : يوحنَّا المعمدان فهي للشبّان تمثّل جهات فلسطين وبلاط هيرودس وما حدث فيهِ من اعتقال القديس الصابغ وموتهِ بدسائس هيروديا ج . ل

A. G. Michel: La Dictature de la Franc-Maçonnerie sur la France: Documents, *Ed. Spes, Paris*, 1924, *pp.* 94

سلطان الماسونيَّة المطلق على فرنسة

قد رفعت الماسونيَّة رأسها في فرنسة بعد الحرب لظنها انَّ الكاثوليك يسكتون عن دسائسها. وبئس الظنّ فانَّ في فرنسة اليوم نهضة عموميَّة لمحاربة تلك الشيعة الاثيمة التي تتآمر على كلّ سلطة شرعيَّة كانت دينيَّة او مدنيَّة في محافلها المظلمة. ومن أراد ان يقف على شيء من سيئاتها وتسلُّطها الجائر فليراجع هذا الكتاب الذي صدر مؤخرًا بمساعي بعض ارباب الدين والوطن وهم قد ألّفوا جماعةً تعاهدوا مناصبة الماسونيَّة وإماطة القناع عن كلّ خبايا ظُلماتهم ل. ش

Le « Kitab ad-din wad-Dawlat » récemment édité et traduit par Mr A. Mingana, est-il authentique? par le **P. Maurice Bouyges, s. j.**, *Beyrouth*, 1924, *pp.* 16

أموضوعٌ هو او مصنوع كتاب الدين والدولة للطبري ؟

الفونس منجانا كاهن موصلي كلداني جنح الى الشيعة الانكليكانيَّة منذ بضع سنوات وهو ينشر في انكلترة بعض التآليف الشرقيَّة التي يعثر عليها هناك. فمن جملتها كتاب الدين والدولة المنسوب لعليّ بن ربَّان الطبري فيهِ ردود على النصرانيَّة ويقال في صدره انَّ عليًا هذا ساعدهُ فيهِ (اي في وضع كتابهِ) جعفر الامام المتوكل على الله امير المؤمنين، وقد أرسل هذا الكتاب الى مجلَّة المشرق فوصفناهُ (ص ٥٥١) وبيَّنَّا ضعف اعتراضاتهِ على النصرانيَّة ولم نتعرَّض لبيان صحَّة نسبتهِ الى عليّ الطبري. وها هوذا احد اخوتنا قد تنبَّه فكرهُ الى فحص هذه المسئلة بعد ان لمَّح اليها حضرة الاب بيترس من جماعة البولنديين في نشرتهم البولنديَّة (١٩٢٤ ص ٢٠٢) فدرس الاب بويج الكتاب درسًا نعمًا وبحث عن مؤلفهِ وعن نسختهِ الوحيدة المنشورة ودقَّق النظر في محتويات الكتاب وانشائهِ وزمانهِ مع ما قدَّم عليهِ ناشرهُ من المقدمات فوجد في كلّ ذلك ما يلقي الشبهة في صحّتهِ وكتب هذه الرسالة لانتقادهِ شارحًا فيها الاسباب التي تحملهُ على الظنّ بان هذا الكتاب مصنوع لا يمكن ان يُنسب لعليّ الطبري. ووجّه ملحوظاتهِ الى ناظر خزانة كتب ريلند التي فيها وُجد الكتاب يعرض

عليهِ شكوكهُ في المسألة وها قد مرَّ عليهِ عدَّة اسابيع ولم ينل جواباً مما يدلُّ على انَّ هناك سرًّا خفيًّا لا بُدَّ من ايضاحهِ

P. H. Lammens s. j. : La Mecque a la veille de l'Hégire. Mélanges de l'Université S[t] Joseph, Beyrouth, t. IX fasc. 3, 1924, pp. 342

مكة قُبَيْل الهجرة

كان آخر ما وضعهُ حضرة الاب لامنس من التآليف في جزيرة العرب كتابهُ عن مدينة الطائف واحوالها قُبَيل الهجرة (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ١٤٨) . وكان كتابهُ المذكور يستدعي ما يوازيهِ بالمعارضة اعني وصف مكَّة قُبَيـل الهجرة . وهو الكتاب الذي انجزهُ مؤخرًا واودعهُ من المعلومات الواسعة التي استقاها من مناهل اقدم كتبة العرب الـذين تصفَّح مخطوطاتهم فضـلًا عن منشوراتهم في خزائن كتب الغرب والاستانة ومصر وراجع كلَّ ما كتبهُ اساطين العلوم الشرقيَّة في انحاء اوربَّة وعرضها على محكّ الانتقاد فحقّق ودقّق ونقّح واصلح على ما رآهُ اقرب الى الصواب . متَّعنـا الله زمناً طويلًا بمعارفهِ الجمّة ل . ش

الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي

عُني بتحقيقهِ والتعليق عليهِ عبدالله مخلص

طُبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩٢٤ (ص ١١٢)

سفرٌ جليل خلَّصهُ من الضياع جناب الهمام عبدالله مخلص نقلهُ عن النسخة الوحيدة المحفوظة في خزانة الكتب الخالديَّة ببيت المقدس ونشرهُ في المجلَّد الخامس والعشرين من مجلَّة المعهد العلمي الفرنسي المصري للآثار الشرقيَّة في السنة الحاليَّة مع صورة صفحتين من النسخة الاصليَّة وقدَّم عليهِ المقدَّمات الممتعة التي قلَّما نراها في مطبوعات الشرقيين ولاسيما المصريين فعرَّف صاحبَ الكتاب امينَ الدين تاج الرئاسة ابا القاسم عليَّ بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفيّ المصري المتوفَّى على ما روى ابن مَيسر سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧م) ونقل جميع ما وقف عليهِ من اخبارهِ لاسيما توليتـهُ ديوان رسائل الانشاء في ايَّام الخليفتين الفاطميَّين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله . ولم يكتفِ بهذه الفوائد حتى ألحقها بفصل حسن في كبار المؤرخين الـذين كتبوا

اخبار الوزراء . أمّا هـذا الكتاب فهو من اجلّ المصنفات وضعهُ كاتب معاصر للفاطميين عرف امورهم حقّ المعرفة فيتناول اخبار وزراء الفاطميين مباشرة بالوزير ابي الفرج يعقوب بن كلس اليهوديّ الاصل وزير المعزّ لدين الله (٣٦٨—٣٨٠ هـ) الى عهد امير الجيوش بَدر المستنصري المتوفى سنة ٤٨٨ وابنهِ ناصر الدين ابي القاسم شاهنشاه الذي قُتل سنة ٥١٥ (١١٢١م) مع مختصر في سيرة الخلفاء المستعلي بالله والآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله . وممّا يدلُّ على عظم شأن هذا الكتاب رجوع المؤرّخين اليهِ واستشهادهم بهِ كما بيّن جناب عبدالله مخلص . فلهُ الشكر على نشر هذا الاثر الفريد وعلى ما علّق عليهِ من التعليقات المديدة ولو ختمهُ بالفهارس لكان ضاعف محاسنهُ وان شاء الله يفعل

بين المحاماة والقضاء او قضيَّة السيّد زخيا

جمع ما عنَّ من واقعاتها وكيلهُ المحامي نجيب خلف

طُبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت سنة ١٩٢٦ (ص ٦٦)

اطّلعنا برغبة على تفاصيل هذه المحاماة التي اخذت دورًا مهمًا ما كنّا لنظنّ انهُ سيشغل محاكمنا هذا الشغل الطويل والمسألة على ما يظهر لنا بسيطة كان يمكن حسمها بطريقة وديّة فابى المدّعي الّا أن يرفعها للمحاكم . وقد رأينا في دفاع جناب المحامي نجيب افندي خلف ما اثبت لنا اقتدارهُ على كشف غوامض الامور وبيان حقائقها . فنثني على همّته ونؤمل اختتام هذه الدعوى بحفظ كرامة المدّعى عليهِ المعروف بحسن آدابهِ لدى الخاصّ والعام ل . ش

دليل الحائك

طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت (ص ١١٧)

نثني أطيب الثناء على همّة مؤلف هذا الدليل اسكندر يوسف الحائك الذي لا يدّخر وسعًا في خدمة الوطن بما ينشرهُ من الادلّة لتقريب الاسفار على اهل البلاد السوريَّة والفلسطينيَّة والمصريَّة . وهذا الاثر الجديد مع فصولهِ الرائعة ومعلوماته

المتعددة وتصاويره الجميلة ينطق بفضله ويستدعي شكر الجمهور على اعماله جازاه الله

المدامع

وهي المجموعة الحاوية لسيرة ومراثي الاب بطرس فضّول

طبع في مطبعة مسامرات الهاجر (ص ٧٨)

فجعت في ٩ أيار سنة ١٩٢٠ جماعة المرسلين اللبنانيين الافاضل بوفاة احد اعضائها الذي كانت تبني عليه اطيب الآمال لتقديس النفوس وهو الاب بطرس فضّول الذي توفّاه الله في عزّ كهولته في سنّ الثلاث والثلثين من عمره فعظم المصاب على ذويه واقاربه بعد ما رأوه من غيرته ومعارفه التي كان استقاها في مدرسة نشر الايمان المقدَّس في رومية وبرهن بعد رجوعه عن مقدرته على كلّ الاعمال الرسوليَّة . فتعدَّدت في وصف مناه اقوال الجرائد والخطباء والشعراء فاحبَّ حضرة الخوري بطرس العنداري ان يجمعها وينشرها ليبقى في الوطن ذكر الصالحين فيقتدى بآثارهم الطيّبة ل . ش

هدايا أرسلت الى المشرق

١ مقدّمة كتاب خطط دمشق . تأليف محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربيّ في دمشق . طُبع في المطبعة البطريركيَّة الارثذكسيَّة في دمشق سنة ١٩٢٤ (ص ٣٣) . تدلّ هذه المقدّمة على انّ الكتاب سوف يكون من امتع التآليف في وصف عاصمة الشام

٢ الساعة المقدَّسة : ماهيَّتها . تاريخها . علاقتها برسالة الصلاة وممارستها . نشر في المطبعة الكاثوليكيَّة في بيروت . سنة ١٩٢٤ (ص ١٥)

٣ ترجمة الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي . نبذة تاريخيَّة بقلم الشيخ سليم خطَّار الدحداح . نقلًا عن مجلَّة المشرق . طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٤ (ص ٢٥) .

شذرات

الصليب فوق الكابيتول — معلوم انَّ الكابيتول اشرف تلال رومية السبعة

الراهب الجليل لاسيَّما تآليفهُ المخطوطة والمطبوعة في كلّ اللغات. وقد طُبع جدول المعروضات البالغ عددها ٢٦١ اثراً. وقد ذكرنا في كتابنا المخطوطات العربيَّة لكتبة النصرانيَّة (ص ٨٤) ما يُعرَف لهُ في لغتنا العربيَّة من الآثار الخطيَّة وهما كتاب تأمُّلاتهِ لكلّ أيَّام السنة وكتابهُ قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت عرَّبهما الاب بطرس فروماج اليسوعيّ. وقد طُبع الاوَّل في حلب في المطبعة المارونيَّة في ثلثة مجلَّدات (١٨٦٦) واختصر قسماً منهُ حضرة الاب اغناطيوس جعجع. وطبع الثاني في مطبعتنا الكاثوليكيَّة (١٨٩٥)

❁ كنيسة راهبات الحرب في واشنطون ❁ جمع الاميركيُّون على اختلاف نزعاتهم مبالغ طائلة خصُّوها بتشييد كنيسة عظيمة تخليداً لشهامة الراهبات الكاثوليكيَّات اللواتي خدمنَ في الحرب الكونيَّة الاخيرة الجرحى والمرضى والموتى بتفانٍ لا يلهمهُ الَّا الدين وحبّ الله. وقد مثَّلوا في واجهة الكنيسة على الرخام صورة اثنتي عشرة راهبة من الاثنتي عشرة رهبانيَّة اللواتي امتزنَ في خدماتهنَّ اخصّهنَّ راهبات المحبَّة والكرمليَّات والاورسليَّات والدومنيكيَّات واليوسفيَّات وراهبات الناصرة وغيرهنَّ وقد كتبوا تحت الصورة انهنَّ قد اسعفنَ المنازعين وعالجنَ المرضى وعزَّينَ الأَسرى وقدَّمنَ للعطاش ماء باسم المسيح. وقد دشَّن هذا الاثر الجليل نيافة الكردينال اوكونل وخطب خطبة بليغة بياناً لفضل الراهبات

❁ خارطة لبنان الجيولوجيَّة ❁ قد تكلَّف حضرة الاب زيوفن احد آباء كليَّتنا اسفاراً واتعاباً كثيرة في رسم خارطة مدقَّقة لجيولوجيَّة لبنان كان ارسل صورتها لمجمع العلوم في باريس فعرف اصحابهُ قدر هذا العمل النفيس ومنحوهُ جائزةً قدرها ستَّة آلاف فرنك لنشر الرسم المذكور إفادةً لاهل لبنان ولعلماء طبقات الارض فيهِ. على انَّ هذا المبلغ لا يفي بنفقات الطبع فالأمل بدولة لبنان الكبير ان تجود هي ايضاً بشيء من مالها لانجاز هذا العمل

❁ عاديَّات مدينة كيش ❁ كيش اقدم حواضر الكلدان في ما بين النهرين يُرقى زمانها الى الالف الخامس قبل المسيح. فقد اجرى هناك حفريَّاتٍ حديثة العالم الانكليزي لنغدون (M. Langdon) رئيس البعثة العلميَّة المرسلة من قبل كليَّة اوكسفرد فوقف على قصر سومريّ لم يستولِ عليهِ الخراب وهو يشمل مساحة بالغة

نحو ثلثة هتكارات وفيهِ من النقوش الرائعة ما يأخذ بمجامع القلوب . وافضل من ذلك مكتبة مسمارية محفورة على الواح الآجر تشغل عدة غرف فيها من الآثار ما سيُقبل عليهِ العلماء برغبة عظيمة . ومما يستلفت النظر ان فيها دليلًا يشرح لكتبة ذلك العصر قواعد اللغة والكتابة السومرية وفي جملتها قلم من العظم كانوا يستعملونهُ في كتابة الحروف المسمارية على الآجر

﴿اعمار البشر والهلال﴾ سُئل صاحب مجلة الهلال (نوفمبر ١٩٢٤ ص ٢١٨) عن اعمار الآباء الاولين المذكورين في سفر التكوين كيف كان ذلك ولماذا يندر اليوم ان يجاوز انسان المئة . فاجاب ان «السؤال لا يقع عند التدقيق من دائرة بحث الهلال لان الجواب عليهِ من اختصاص رجال اللاهوت والاغلب في رأيهم ان المقصود بالسنة من حيث مدتها هو غير المقصود بها في عرفنا» . فنقول ان الامر لا يتجاوز معتقد العقل لأنَّ احوال الزمان في تلك القرون الاولى وسذاجة عيشة الآباء الاولين وحسن آدابهم كل ذلك كان من شأنهِ ان يطيل اعمار البشر . وقد اطلعنا مؤخرًا على مقالة لاحد الاطباء يرتأي فيها بان الانسان حاضرًا لو عاش عيشة ساذجة منتظمة هادئة لامكنهُ ان يبلغ المئتين من السنين فما قولنا بتلك الاعصار التي كانت احوال الطبيعة أضمن لحفظ الحياة (راجع في المشرق ٤ [١٩٠١]: ١٥٢—١٥٥ مقالة للمرحوم المنسنيور يوسف العلم في اعمار الآباء الاولين) . اما قول الهلال ان اللاهوتيين يقصدون بالسنة غير المقصود في عرفنا فهو مخالف لآيات الكتاب كما ترى في المقالة المذكورة فلتراجع

﴿مشاكل الحياة﴾ لم يَرُق صاحبَ مشاكل الحياة بين الشاب والفتاة انتقادُنا لكتابهِ ولو راجع تأليفهُ بروية وتأنٍ لادرك صحة حكمنا فيهِ . فانهُ في وصفهِ للرذيلة والعشق والخلاعة والمومسات يثير الاهواء لا يخمدها وكثير من تلك الاوصاف احرى بدارسي الطب منها بشبان ادباء وفتيات خفرات . ومن عجيب اقوالهِ (ص ٤٤) «ان الرزيلة (كذا بالزاي) تُحارَب بالرزيلة» كأنهُ يقول ان النار تُطفأ بالزيت . واغرب من ذلك قولهُ (ص ٧٠—٧١) «بتعقيم المتزوجين المعلولين ان لم يَمنع زواجهم بتعطيل مادة تناسلهم» وكل يعلم ان هذا من اكبر المآثم في الزواج افيريد بعد ذلك ان نمدح تأليفهُ ؟ وقد اخذنا عليهِ استشهادهُ ببعض الملحدين وماذا نقول عن استشهادهِ غير مرة بمذكرات بغي . وغير ذلك مما يثبت رأينا في كتابهِ ويؤيد حكمنا شاء او ابى

أسئلة وأجوبة

س سأل احد المستشرقين ماذا يُعرف في الشرق عن القديسة الشهيدة بربارة وعن اكرام النصارى لها ؟

القديسة بربارة الشهيدة

ج قد اوضحنا ذلك في المشرق في سنته الاولى (١ [١٨٩٨]: ١١٣١–١١٣٣) ونشرنا مديحها المطوَّل فيه (١٢ [١٩٠٩] : ٩٥٦–٩٥٧) ولدينا في مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة ترجمتها سننشرها ان شاء الله عند سنوح الفرصة

س وسأل احد دارسي الكتاب المقدَّس أكان قوس قزح معروفاً قبل ان يجعلهُ الله آية لنوح (تكوين ٩: ١٤–١٦) لعدم ضربه البشر ثانيةً بالطوفان

قوس قزح كآية لنوح

ج انَّ قوس قزح مظهر طبيعي يحصل بانعكاس نور الشمس على الغمام. ولا بُدَّ انَّهُ ظهر في الازمنة السابقة للطوفان وانَّما اتَّخذهُ الله كعلامة تعهَّد بها مشيئتهُ على معافاة الارض عن تجديد الطوفان على وجهها . كما يمكن متعاهدَين ان يتَّخذا كشاهد على صدقهما شيئاً محسوساً سبق عهدهما

س وسأل احد شمامسة حلب ما معنى لفظتين وردتا في خدمة القدَّاس حسب الطقس الماروني المطبوعة في حلب (ص ٤) وهما «سطومنقالوس» اهما سريانيَّتان ؟

مشكل في خدمة القدَّاس المارونيَّة المطبوعة في حلب

ج هاتان اللفظتان يونانيَّتان (στῶμεν καλῶς) وقد كتبتا بحروف عربيَّة ومعناهما «فلنقف حسناً» اي بتُقى وإخبات . ولا نعلم كيف دخلتا في خدمة الطقس المارونيّ ولم نجدهما في غير الطبعة الحلبيَّة

س وسأل شماس آخر من هم الكاروبيم المذكورون في الكتب المقدَّسة وما معنى اسمهم ؟

الكاروبيم في الكتاب المقدَّس

ج تكرَّر اسم الكاروبيم في اسفار موسى والمزامير والانبياء. وقد اختلفوا في اصله ومعناه . والمرجح اليوم انَّ اللفظة العبرانية כרוב اصلها من الاشوريَّة «كَرُوبُ» معناها الكبير الشديد . او «كيروبو» معناهُ الثور المجنَّح كان الاشوريُّون يمثّلونهُ لحراسة قصورهم وهيا كلهم ورأسهُ كرأس انسان . ويؤيد هذا وصف حزقيال للكروبين في الفصل العاشر من نبوَّتهِ وكلّ ذلك يدلّ على قوَّتهم واستخدامهم في مباشرة الامور الجليلة

السنة الثانية والعشرون   العدد ١٢   كانون الأول ١٩٢٤

المشرق

الغفران وحقيقة معناه في الكنيسة

نظر لاهوتي تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في يوم عيد ميلاد الرب من هذا الشهر سيفتتح قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر السنة اليوبيليَّة الكبرى في رومية بكل رونق وجلال فيبيح كنوز النعم الرسوليَّة على الوفود المتقاطرة الى امّ المدائن لزيارة كنائسها الكبرى وإكرام ضريح هامة الرسل القديس بطرس ومشهد رفيقه الاناء المصطفى القديس بولس فيربحون الغفران اليوبيلي ويتزوَّدون ببركة امام الاحبار

فبهذه الفرصة طلب الينا غير واحد من القرَّاء ان نكتب لهم في المجلة فصلاً واضحاً في الغفران وحقيقة معناه في الكنيسة لعلَّنا نزيل به ما غلب على عقول الكثيرين من الاوهام من هذا القبيل فنقول :

*

ليس امرٌ أثار على الكنيسة غضب بعض اعدائها كمسألة الغفرانات فأنهم قد اتخذوها وسيلة للتشنيع على الأحبار الرومانيّين ورؤساء الكثلكة فنسبوا اليهم اختراعها زوراً لأغراض سافلة ومطامع دنيَّة لا مسوّغ لوجودها على قولهم لا في الأسفار المقدَّسة ولا في عادات قرون الكنيسة الاولى . وزاد ضخبهم منذ نشر لوتاروس زعيم البروتستانت راية العصيان محتجّاً باعلان الغفرانات في زمانه فأضحى الغفران منذ ذاك الحين هدفاً لسهام الشيع البروتستانيَّة ولعلَّهُ صار ايضاً حجر عثرة في سبيل بعض الكاثوليك الضعيفي الايمان . فيترتَّب علينا اذن ان نبيّن في مقالنا ما هو

الغفران وما أصلهُ ومصدرهُ واسبابهُ ومفاعيلهُ ومن هو المفوَّض اليهِ منحهُ وما هي الشروط لربحهِ

١ الغفران في عرف الكنيسة

الغفران في اللغة الصَّفح والتسامُح . ونقلهُ في اللاتينيَّة ومشتقَّاتها (indulgentia) امَّا في الاصطلاح وعُرف الكنيسة فالغفران هو التجاوز عن العقاب الذي يستحقُّهُ الانسان عن خطاياه بعد ان صُفح لهُ إثمها . وهذا التجاوز تمنحهُ السلطة الكنسيَّة من كنوز البيعة امَّا للاحياء بطريقة المسامحة وامَّا للموتى بشفاعتها الى الله

فترى من هذا التحديد الفرق بين إثم الخطيئة وعقابها . فان الإثم اي الاهانة التي صدرت من الخاطئ نحو العزَّة الالهيَّة بمخالفتهِ وصاياه لا يُمحى الَّا بالتوبة كما يُلغى ايضاً الهلاك الابدي الذي كان يلزمهُ . امَّا العقاب الزمني فهو تكفير موقَّت يجب على الخاطئ ان يؤدّيهُ بعد توبتهِ امَّا في هذه الحياة بالاعمال الصالحة والفرائض التعويضيَّة وامَّا في الآخرة بمقاساة العذابات المطهريَّة . وللكنيسة سلطة بان تصفح عن هذا العقاب الزمني امَّا بالسماح وامَّا بالشفاعة كما سترى

٢ ما هو اصل الغفران وما مصدرهُ

لا بُدَّ لبيان ذلك من بعض المقدَّمات :

١ً انَّهُ من الايمان انَّ الانسان معرَّض للخطيئة بل « ليس انسان لا يخطأ » (٣ملوك ٨ : ٤٦) و« ان قلنا ليس فينا خطيئة فانَّا نُضلُّ انفسنا وليس الحقّ فينا » (١ يوحنا ١ : ٨) فبحكم الخطيئة قد شمل الجميع لم يُستثنَ منهُ الَّا السيّد المسيح ابن الله ووالدتهُ العذراء مريم بنعمةٍ خاصَّة منهُ

٢ً لا يستطيع احد ان يغفر الخطيئة الَّا الله (مرقس ٢ : ٧) وانَّما الخطيئة تُغفر بالتوبة والندامة القلبيَّة لكنَّ غفران الله للخطيئة لا يُعافي الخاطئ عادةً عن تقدمة بعض الوفاء عنها في هذه الحياة او في الحياة الاخرى وذلك امَّا بما يفرضهُ الانسان اختياريّاً على نفسهِ من العقاب كالصوم والصلاة وامَّا بصبرهِ على ما يرسلهُ لهُ الله من

الاوجاع والبلايا في حياته او بعقاساته آلام المطهر بعد مماته. ألا ترى كيف عاقب الله آدم وحوَّاء بضروب المحن والمشقَّات والموت بعد ان غفر خطيئتهما وكيف ضرب داود وأمات ولدهُ حتى بعد ان أكَّد لهُ النبي ناتان «انَّ الله قد نقل عنهُ خطيئتهُ» (٢ ملوك ١٢ : ١٣) . ولنا في سفر العدد (١٤ : ٢٠—٢٣) دليلٌ آخر على ذلك فهناك يُذكَر عصيان بني اسرائيل على موسى النبيّ ودعاء موسى الى الله ليغفر خطيئتهم فأجابهُ الربّ: «قد صفحتُ بحسب قولك ولكن حيٌّ انا ولتمتلئ الارض كلُّها من مجد الربّ انَّ جميع الرجال الذين رأوا مجدي وآياتي التي صنعتها في مصر وفي البرّية . . . لن يروا الارض التي اقسمتُ عليها لآبائهم. وكلّ من استهانَ بي لن يراها». فيظهر من هذا جليًّا انَّ الله بعد غفرانه الخطيئة لم يترك العقاب الذي استوجبتهُ . فالوفاء اذن عن الخطيئة المغفورة قسمٌ من التوبة ولذلك يقول الكتاب المقدَّس (ابن سيراخ ٥ : ٥) : «لا تكن بلا خوف من قبل الخطيئة المغفورة» فيريد ان نقدّم عنها ما نستطيع من التعويض والتكفير

٣ قد اقام الله حتى في العهد القديم كهنوتاً فوَّضهُ باعلان غفرانه للخطأة على شروط معلومة فكان بنو اسرائيل يأتون كهنتهم فيقدّمون الذبائح لاجلهم ويصلّون عليهم في هيكل الرب وينالون لهم الغفران عمَّا فرط منهم من مخالفة الشريعة وذلك مفصَّل في سفر الاحبار

٤ على انَّ ذاك الكهنوت الاوَّل لم يكن سوى صورة ضعيفة للكهنوت الذي رسمهُ السيّد المسيح وقلّدهُ رسلهُ لاسيما بطرس هامتهم الذي اتَّخذهُ صخرةً ليبني عليها كنيستهُ واعطاهُ مفاتيح ملكوت السماوات وجعلهُ الراعي الاسمى لقطيعه المختار واعطاهُ لهُ ثمَّ لاخوته التلاميذ بعدهُ سلطة الحلّ والربط في كنيسته مؤكدًا لهم انَّ كل ما يربطونهُ او يحلّونهُ على الارض يكون مربوطاً او محلولًا في السماء . فمنح الغفرانات داخلٌ بلا شك في هذه النعم التي نالها القديس بطرس ثمَّ الرسل اخوتهُ خير مرؤوسيهم المؤمنين

فمن هذه المقدَّمات يتَّضح ان الغفران يعود الى الله سبحانهُ تعالى والى السيّد المسيح الذي أُعطيَ كلَّ سلطان في السماء والارض

على انَّ هذا الغفران الذي تمنحهُ الكنيسة للتائبين ليس هو مبنيًّا على مجرَّد كلام

الله دون تعويض آخر يقوم مقام تعويض التائبين فينوب عنهم . وذلك ما يُدعى بكنز الكنيسة الروحي . فانَّ الكنيسة بما انها عروس السيد المسيح السرّيّة قد اختارها كما يقول الرسول (افسس ٥: ٢٥—٢٧) واحبَّها وبذل نفسهُ دونها ليقدّسها ويهديها لنفسهِ كنيسةً مجيدة لا كلَف فيها ولا غَضن بل تكون مقدَّسة منزَّهة من كلّ عيب . ثمَّ سلَّمها كلّ استحقاقات حياتهِ وموتهِ وقيامتهِ غير المتناهية لتخصّصها لحاجات ابنائها . وكما ورثت نعم السيد المسيح اضافت الى هذا الكنز الثمين استحقاقات كل ابنائها الذين نشأوا فيها من العذراء مريم والرسل والشهداء والمعترفين والعذارى فانها بتوجب شركة كلّ جماعة المؤمنين ابناء الله الذين يتألف منهم جسمها السرّي تستفيد هي من اعمالهم الصالحة واستحقاقاتهم الوافرة كما يستفيد كل عضو من اعضاء الجسد من صحّتهِ ونموّه فتسدّ بها حاجات اولادها الذين لم يَفوا عن ديونهم للعدل الالهي وتنال لهم من مراحمهِ تعالى ان يقبل قسماً من تلك التعويضات ويغفر للمذنبين ما استوجبوهُ من العقاب عن خطيئتهم بعد غفران ذنبها

٣ تاريخ الغفران في الكنيسة

عرفتَ ما هو اساس الغفران . فلننظر الآن كيف تصرَّفت بهِ الكنيسة منذ اول نشأتها

قد جاء في رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنتس (٥: ٢—٥) شاهدٌ جليل على الغفران فان هذا الرسول كان حرم من جسم الكنيسة واسرارها رجلاً خاطئاً بسبب سقوطهِ في الزنى «فاسلمهُ الى الشيطان لهلاك الجسد ليخلص بالروح» . ثمَّ شفع بهِ مواطنوهُ الى الرسول فمنحهُ الغفران وسامحهُ بالحرم بعد ان كان تاب عن خطيئتهِ قال القديس (٢ كور ٢: ٦—١٠) «يكفي هذا الانسان ذلك التوبيخ . . . فمن سامحتموهُ بشيء . فانا ايضاً اسامحهُ لاني ان كنت سامحاً بشيء . فانما انا مسامحٌ بهِ من اجلكم في شخص المسيح» فدلَّ بولس الى المسامحة وذلك كنائب السيد المسيح . وكذا تفعل الكنيسة بغفرانها الذي تمنحهُ التائب وتخفّف ما استحقَّ من التأديبات بسبب خطيئتهِ ولو نال الحلّة عنها

وهنا ينبغي ان نذكر شيئاً من العادات الجارية في قرون الكنيسة الاولى بالنسبة

الى التائبين فان قوانينها كانت غاية في الشدَّة لتزجر الخطأة وتكفهم عن اقتراف المآثم لاسيما الخطايا الثقيلة كالتجديف والسرقة والزنى فكان رؤساء الكنيسة يفرزون مثل هؤلاء المجرمين عن شركة المؤمنين فلا يُسمح لهم بمشاركتهم في الاسرار فتفرض عليهم اصواماً طويلة ولبس المسوح والوقوف على باب الكنائس وفرائض شتى يمارسونها مدَّة سنوات عديدة كانت تدوم احياناً الى آخر الحياة. وبعض هذه القوانين الصارمة كانت تُطلق حتى على اجتراح خطايا خفيفة. فانَّ في مكتبتنا الشرقيَّة نسخة عربيَّة قديمة من كتاب الطبّ الروحاني لميخائيل الجميل اسقف مليج في الصعيد من كتبة القرن الثالث عشر هو «مجموع من قوانين الرسل القديسين والآباء الروحيين وممَّن اتى بعدهم من المعلّمين» في ٤٧ باباً دُوّنت فيه التأديبات الكنسيَّة التي تُفرَض على المعترفين ببعض خطاياهم دونك مثالاً منها:

(القاتل) الطالب التوبة يُطرح عليهِ اثنتا عشرة سنة لا يتقرَّب ويُفرَز ويقف خارج الكنيسة ويعمل كل يوم مائة مطانية(١) ويا رب ارحم مئة مرة. ويا الله سامحني انا الخاطئ. واغفر لي مائة مرة

(الذي يحلف) عليهِ سنة لا يتقرَّب وفي كل يوم مائة مطانيَّة

(الذي يجحد المسيح وينكر المعمودية ذات الخلاص) فعليهِ ان يبكي طول ايَّام حياتهِ

(السارق) عليهِ وصيَّة ثلث سنين ويعمل كل يوم خمسين مطانيَّة ويقف خلف الشعب

(الذي يبغض اخاهُ) يبتعد من القربان المقدَّس ثلاث سنين على ما سنَّتهُ الآباء. وامَّا نحن في زماننا (اي في القرن الثالث عشر) يبقى سنةً ويأكل يابساً ويعمل كل يوم مائة مطانيَّة

(الكثير الكلام) امرت قوانين الاجمات ان يمنع من القربان ستَّة اشهر. امَّا نحن في زماننا هذا يبقى ثلثة اشهر ويأكل يابساً في الساعة السادسة وفي كل يوم ١٣٠ مطانية

(الكذَّاب) قد سنَّ الاجمات عليهِ ان يبقى ثلثة شهور تائباً باكياً. وامَّا نحن فنحدّ اربعين يوماً يأكل يابساً في الساعة السادسة وفي كل يوم ١٥٠ مطانيَّة

ولم تكن العقوبات في الكنيسة الغربيَّة اخفَّ منها في الكنيسة الشرقيَّة. فانَّ من التجأ الى السَّحرة كان يفرض عليهِ مدَّة خمس سنوات اعمال توبة شاقَّة — كان المجدِّف على الله او على قدِّيسيهِ يوقف مدَّة سبعة آحاد على باب الكنيسة وفي آخرها كان يقوم حافي القدمين وفي عنقهِ الحبل ويصوم سبع جمعات على الخبز الجاف ويُقيت

١) المطانية لفظة يونانيَّة معناها التوبة ويراد بها السَّجدة والركعة

ثلثة من الفقراء. ومَنْ أبى الخضوع كان يُمنع عن الدخول الى الكنيسة وعند موتهِ يُحرم من الدفن المسيحي — كان الولد الذي يلعن والديه يُحكم عليهِ بالصوم على الخبز الحاف مدَّة اربعين يوماً. وقس على هذا بقيَّة الخطايا. وهذه التأديبات وُضعت لخطيئة واحدة فان تعدَّدت الخطايا اصبحت حياة الانسان قصيرة عن وفاء تلك القوانين حتى ولو عمَّر الخاطئ العمر الطويل.

وكان التائبون لا يعودون الى مرتبتهم في الكنيسة الَّا بعد ان يقطعوا اربعة اشواط: شوط «الباكين» كانوا يقومون في رواق الكنيسة لابسين المسح والرماد على رؤوسهم يلتمسون الغفران من الداخلين. وشوط «السامعين» كانوا يقومون في اسفل الكنيسة مع الطالبين ولا يحضرون الَّا الوعظ ومقدَّمات الاسرار الى الانجيل. وشوط «الساجدين» كانوا يحضرون الاسرار وهم منكبُّون على وجوههم ساجدين ويتلو عليهم الاسقف صلوات معلومة. وشوط «الواقفين» الذين كانوا يقفون مع المؤمنين ويحضرون معهم الاسرار الَّا انهم كانوا يُحرَمون من التقدمة ومن تناول القربان

وعلى هذا المنوال اصبحت التأديبات الكنسيَّة عبئاً ثقيلًا لا يطيقهُ عموم الناس. ولمَّا كانت الكنيسة امًّا حنوناً لا تريد هلاك اولادها وانَّما تبتغي اصلاح سلوكهم وتوبتهم النصوح والتكفير عن ذنوبهم فلذلك توسَّلت ببعض الوسائل لترخي خناق اولئك التائبين ولا تلقيهم في اليأس والقنوط

فمن ذلك ان رؤساء الكنيسة كانوا اذا لحظوا في التائبين ندامةً عظيمة وغيرةً في وفاء القانون واصلاحاً تامًّا لسلوكهم تساهلوا معهم وغفروا لهم قسماً من تلك العقوبات الصارمة

ومن الوسائل التي شاعت في ايام الاضطهادات أنَّ التائبين لاسيما الذين كانوا جحدوا الايمان امام الحكَّام خوفاً من العذابات كانوا يلتجئون الى الشهداء الذين قاسوا الآلام بثبات لاجل ايمانهم وحُكم عليهم بالموت او بالسجن لاجل المسيح فيطلبون شفاعتهم لدى الرؤساء ليتجاوزوا عن تأديبهم ويعاملوهم بالرفق. فكان ارباب الكنيسة لاجل كرامة الشهداء يصفحون عن التائبين او يخفّفون عليهم التأديبات

وكذلك المحسنون الى الكنيسة الذين كانوا اصابوا كرامةً لدى اربابها كانوا يتوسلون الى الاساقفة ليغضُّوا النظر عن بعض المجرمين فيقبلوهم في الكنيسة بالحلم والرحمة ضاربين صفحاً عن تأديبهم او مكتفين بالزهيد القليل

٤ الغفران بالنسبة الى الآخرة

انَّ التأديبات التي تفرضها الكنيسة على ابنائها التائبين من شأنها ان تقرّب اليهم الوفاء عمّا استحقّوهُ من العقاب الزمني لعدل الله وبالغفران تخفف عن عاتقهم ذلك العقاب

ولكن يا تُرى أهذا الغفران فعلٌ في الآخرة؟ أيمكن الكنيسة ان تلطّف ما استحقّهُ الانسان من العقاب في المطهر لِما لم يفِ بهِ في هذه الحياة لعدلهِ تعالى ؟ انَّ بعض الهراطقة نكروا مفعول غفرانات الكنيسة في تلطيف تلك الآلام لنكرانهم وجود المطهر. فنُحيل هؤلاء المبتدعين الى مقالة العدد السابق التي اثبت فيها الطيّب الذكر البطريرك ميخائيل جروه حقيقة وجود المطهر عقلًا ونقلًا

فباقتراضنا وجود المطهر لا بُدَّ من القول انَّ سلطان الكنيسة بوضعها الغفران يمتدُّ الى عذابات الآخرة ايضاً وذلك لاسباب:

اولًا: انَّ هؤلاء المطهَّرين في حبس المطهر لا يزالون من عداد ابنائها ومن جسمها السرّي المتألف من ثلثة فروع اي الكنيسة المجاهدة على الارض والكنيسة الظافرة في السماء. والكنيسة المتألمة في المطهر فلا تستطيع الكنيستان الظافرة والمجاهدة ان تغضّا الطرف عن اخوتها المتألمين في المطهر

ثانياً: لان الكنيسة المجاهدة هي عروس السيد المسيح السرّيّة كما سبق فلا يستطيع ان يردَّ لها طلباً لمن ولدتهم لله بالمعموديّة وقدّستهم باسرارها وطبعت في نفسهم بالعناء والجهد صورة قرينها الالهيّ

ثالثاً: لأنَّ السيد المسيح خوَّلها اسرارًا عظيمة وجعل في يدها كنوز استحقاقات حياتهِ وآلامهِ لتخصّصها بمنفعة الاحياء والاموات

رابعاً: ويدلُّ على ذلك انَّ الكنيسة في كلّ اطوار تاريخها وفي كلّ البلاد التي بسطت فيها سلطانها لم تزل تقدّم الصلوات والاصوام والذبائح المقدّسة وضروب

التعويضات عن المؤمنين المتنيّحين بالرب بشركة كنيسته الواحدة الجامعة المقدّسة . لنا في اثبات هذه الحقيقة الشواهد الكتابيّة المدوّنة في دياميس رومية منذ القرون الاولى وقد نقل كثيراً منها في المشرق (٢١ [١٩٢٣] : ٨٠١-٨١٢) حضرة القس جرجس اليان في مقالته عن احوال الآخرة في عرف النصارى الاوّلين . فهناك عدّة ادعية عن لسان الموتى يلتمسون بها من اخوتهم الاحياء ان يذكروهم لدى الله وينالوا لهم الراحة الابديّة من رحمته تعالى . وكذلك في تاليف الآباء القدّيسين ادلّة واضحة تصدعُ بهذه الحقيقة (راجع مقالة البطريرك جروه المذكورة)

على أنّنا لا نشبّه شبهاً تامّاً مفعول غفرانات الكنيسة في اولادها الاحياء بمفعولها في ابنائها الراقدين بالرب . فانّ سلطان الكنيسة على مؤمنيها في هذه الحياة صريح يدركهم توّاً لما أُعطيت بشخص هامة الرسل فانّها قُلّدت مفاتيح ملكوت السماوات وانّ ما تحلّهُ او تربطهُ على الارض يكون محلولاً او مربوطاً في السماء . أمّا سلطانها على مَن فارقوا هذه الحياة بنعمة الله دون الوفاء التامّ عن خطاياهم الثقيلة المغفورة او عن خطاياهم العرضيّة غير المغفورة فانّهُ سلطانٌ ضِمْنيّ يتوقّف على شفاعتها المقبولة لدى الله المصحوبة بما لديها من كنوز استحقاقات السيد المسيح والقديسين غير المتناهية ولاسيما بتقدمتها ذبيحة جسد ودم ابن الله في القربان الاقدس

وفي كلا الحالين سلطان الكنيسة كلّهُ من الله لا من ذات نفسها بواسطة ابنه الالهيّ الذي قال لتلاميذه قبل صعوده (متى ٢٨ : ١٨) : «اني قد أُعطيتُ كل سلطان في السماء والارض» (يوحنا ٢٠ : ٢١) : «كما أرسلني الآب انا أرسلكم . . . خذوا الروح القدس مَن غفرتم لهم خطاياهم تُغفر لهم ومن امسكتم خطاياهم تُمسك لهم» فان كان سلطان الكنيسة يمتدّ الى غفران الخطايا فكيف لا يمتدّ ايضاً الى غفران عقاب الخطايا الذي هو اخفّ من غفران الخطايا نفسها

٥ تطوّر الغفرانات بتمادي الزمان

رأيت كم كانت شديدة في قرون الكنيسة الاولى التأديبات الكنسية المفروضة على التائبين . ألّا انّ احوال العالم تغيّرت كثيراً بعد سقوط الدولة الرومانيّة وهجوم الشعوب البربرية على اوربّة حتى ان سياسة العالم انقلبت ظهراً لبطن فوجب على

الكنيسة ان تربي تلك الامم المستحدثة وتزيل همجيتها وتنفخ فيها روحاً جديدة .
ومما لطَّفَتْهُ العقوباتُ القانونيَّة التي كانت تلزم بها التائبين لئلا ينبذوا الايمان ويعودوا الى وثنيَّتهم فجعلت تفرض على طالبي التوبة قوانين لا ينفرون من مباشرتها كالصلوات والاصوام والصدقات الى الفقراء بدلاً من ذرّ الرماد ولبس المسوح والوقوف على باب الكنيسة ومنع القربان

وفي القرون الوسطى رسمت كفَّارةً عن الذنوب اعمالاً تقويَّة كزيارة الاراضي المقدَّسة وكنائس رومية وبعض المزارات . وكجلد الجسد بالمقارع او كدفع شيء من الدراهم لبناء الكنائس

ولما أُعلن بالحروب الصليبيَّة منحت الكنيسة الغفران عن عقاب الخطايا الـذين كانوا يتجنَّدون في جيوش الصليبيين لفتح الاراضي المقدسة . والكنيسة بكل ذلك ترغب بأن تخفّف عن ابنائها تبعة خطاياهم فيعرضوا عنها

ثم جاءت اليوبيلات في غرَّة القرن الرابع عشر كلَّ مئة ثمَّ كلَّ خمسين ثمَّ كلَّ خمس وعشرين سنة فاخذ الالوف ومئات الالوف من المسيحيّين يتقاطرون الى زيارة ضريح الرسولين بطرس وبولس في رومية فكانت وسيلةً جديدة لربح الغفرانات الممنوحة من الاحبار الرومانيين لزوّار عاصمة الكثلكة كما أنَّهم منحوها ايضاً لزوّار كنائس اخرى شهيرة بذخائر القديسين وآثار العبادة مثل كنيسة الرسول القديس يعقوب في كمبستال من اعمال اسبانية

وهكذا الكنيسة كانت تتصرَّف بانواع التعويضات وطُرق التكفير عن الذنوب وانما جوهر هذه الانعامات لم يختلف فانَّ الكنيسة بناء على سلطتها الالهيَّة تسامح عن ما تستحقُّهُ الخطيئة المغفورة في سرّ التوبة من العقوبات الزمنيَّة بايجاد ممارسات اخرى تقويَّة تقوم مقامها اخفّ عبئاً واسهل وفاء

وهذا ما حملها على اختيار عبادات شتى وضعها بعض القديسين فأغنتها بالغفرانات ليسهل على المؤمنين ربحها بممارستها كعبادة الورديَّة وعبادة درب الصليب والسجود القربانيّ والاخويَّات والشركات التقويَّة وتلاوة صلوات مختلفة علَّقت عليها مثل هذه الغفرانات لتتوفَّر لدى المؤمنين وسائط النجاة من العقوبات التي تستحقُّها خطاياهم في العالمَين

٦ من هو المفوَّض اليهِ منح الغفرانات

لمَّا كان الاحبار الرومانيُّون هم خلفاء القديس بطرس هامة الرسل ونوَّاب السيد المسيح على الارض اليهم قد أُعطي قبل الجميع السلطان على منح الغفرانات. وهذا السلطان يُعرَف بسلطان المقاليد الرسوليَّة اشارةً الى قول الرب للصفاة « سأُعطيك مقاليد ملكوت السماوات » وقد نال الرسل ايضاً هذا السلطان لان الرب جعلهم « وكلاء اسرار الله» (١ كور ٤: ١) . فيستطيع الاساقفة ورؤساء الكنائس ان يمنحوا ايضاً الغفرانات

على انَّ هذا السلطان مقيَّد تحت حكم امام الاحبار الذي لديهِ مستودَع كنوز الكنيسة فيستطيع ان يطلقهُ او يحصرهُ كما يشاء . . ومن الحقّ العمومي المعروف انَّ لرئيس الكنيسة الاسمى ان يمنح الغفرانات بكل أصنافها ولاي غايةٍ شاء سواء كان لفائدة الاحياء او لاسعاف الموتى . ثمَّ للكرادلة والبطاركة ورؤساء الاساقفة والاساقفة والنوَّاب الرسوليّين والقصَّاد الرسوليّين حقّ بمنح بعض غفرانات جزئيَّة للأحياء فقط في ابرشيَّاتهم وكلّ الامكنة الخاضعة لهم او في الحفلات الدينيَّة التي يرئسونها خارجاً لحضور تلك الحفلات. امَّا المجامع فان كانت مسكونيَّة فلها ان تمنح الغفرانات باشتراكها مع الحبر الاعظم ليس خلوًّا منهُ . وان كانت مكانيَّة خصوصيَّة فلا سلطة لها على ذلك . انَّما الغفرانات التي يمنحها الرؤساء لا تبطل بموتهم

٧ · انواع الغفرانات

تقسم الغفرانات الى غفرانات كاملة وجزئية . فالكاملة هي التي توفي عن سائر التأديبات والعقوبات الزمنيَّة التي استحقَّها الانسان لاجل خطاياه بعد توبتهِ سواء كان في هذه الحياة ام في الآخرة . الَّا انَّ هذه الغفرانات لا يربحها بكمالها الَّا القليلون لعدم استيفاء الكثيرين لشروطها تماماً . والجزئيَّة هي التي تُزيل جزءًا من هذه العقوبات . وانَّما يجب التنبيه على انَّ هذه الغفرانات الجزئيَّة كغفران اربعين يوماً مثلاً معناها اوَّلاً انها تعافي الخاطئ عن عقاب قانوني كان مفروضاً عليهِ سابقاً مدَّة اربعين يوماً بازاء الكنيسة

امَّا في العالم الآخر فمفعولها مؤكَّد بيد انهُ غير محدَّد وانما هو موكول الى رحمة الله

وتُقسم ايضاً الغفرانات الى غفرانات شخصيَّة او مكانيَّة او وضعيَّة فالشخصيَّة تمنح لشخص معلوم او لجماعة معلومة لا يربحها غيرهم. والمكانيَّة تنوط بمكان مقدَّس مثلًا ببعض الكنائس او المزارات التقويَّة. امَّا الوضعيَّة فتمنح لبعض الموادّ المنتقلة كايقونة مقدَّسة او صليب او ذخيرة او سُبحة وما شاكل ذلك

ويقسمون الغفرانات ايضاً الى غفرانات الاحياء التي يربحها المؤمنون لنفسهم وغفرانات الموتى التي يمكن تخصيصها لنجاة النفوس المطهريَّة بموجب ما يقررهُ مَنح تلك الغفرانات

وكلّ هذه الغفرانات كانت تُعلَن في منشورات رسميَّة يبرزها في رومية مجمع خاصّ باسم الحبر الروماني ويجدّدها من وقت الى آخر ليستدلّ المؤمنون على صحيحها من باطلها. امَّا اليوم فهي منوطة بالمجمع المتقلّد امور التوبة (Pénitencerie) وتُعلن بنشرة الكرسي الرسولي الرسميَّة (Acta Apostolicæ Sedis)

٨ الشروط لربح الغفرانات

لا تُمنح الغفرانات عفوًا دون شروط يُقيَّد بها ربحُها وهذه اخصُّها :

الشرط (الاوَّل) ان يكون الانسان حيًّا مصبوغاً بماء المعموديَّة خاضعاً للكنيسة غير مربوط بجرم من رؤسائها

الشرط (الثاني) ان يكون طالب الغفران في حالة النعمة المبرّرة. لان الغفران كما سبق لا يغفر ذنب الخطيئة وانَّما يغفر ما استوجبتهُ من العقاب الزمني. وامَّا غفران الخطيئة فهو يتمّ بسرّ التوبة وحلَّة الكاهن

الشرط (الثالث) ان يعقد النيَّة على ربح الغفران على الاقلّ ان تكون لهُ نيَّة ضمنيَّة عموميَّة ان لم تكن حاليَّة او صريحة

الشرط (الرابع) ان يتمم طالب الغفران بذاتهِ الواجبات المفروضة لربحها من صوم او صلاة او زيارة او صدقة. فان خلّ من ذلك شيء. امتنع الغفران ما لم يكن موجب لاستبدال شيء من تلك الشروط. واغلب ما يُفرَض على المؤمنين ليتمتعوا

بالغفرانات الكاملة ان يرحضوا نفوسهم بسرّ الاعتراف ويعقبوهُ بتناول القربان الاقدس

٩ مفاعيل الغفرانات الصلاحيَّة

انَّ الشروط السابق ذكرها تبيّن بياناً جلياً ما ينجم عن الغفرانات من المفاعيل الخلاصيَّة. نعمّ انَّ غايتها الاولى ان تعافي المؤمنين ممَّا وجب على خطيئتهم من القصاص لاجل تَبِعتها السيئة بعد غفران الذنب. الّا انَّ هذا المفعول المرغوب تصحبهُ مفاعيل اخرى طيّبة من شأنها ان ترقّي الحياة الصالحة وتعدّ الانسان الى الكمال المسيحيّ

فمن مفاعيلها انَّها توجب على المؤمن ان ينزع عن نفسهِ دنس الخطيئة بالتوبة الصادقة وتناول القربان ليكون اهلاً لنعمة الغفران

ومنها انَّها تنعش في قلب الانسان روح العبادة والتقى فتبعثهُ الى ممارسة الاعمال المبرورة والفضائل الالهيَّة

ومنها ايضاً انَّها بما يُفرض على المؤمن من صلوات او صدقاتٍ او فرائض غيرها تعوّدهُ على التجرُّد من الارضيَّات وطلب الخيرات السماويَّة وتمجيد الله واسعاف القريب فتنمو في قلبهِ حياة الله. وهذا يلوح خصوصاً في ربح الغفرانات الكاملة التي لا تُنال الّا بقطع كلّ علاقة مع الخطيئة وممارسة اسمى الفضائل وارضاها لدى الله لاسيَّما المحبَّة «التي هي رباط الكمال» (كولوسي ٣: ١٤)

١٠ الجواب على بعض اعتراضات لنفي الغفرانات

اعترض اعداء الكنيسة عليها فنكروا شرعيَّة استعمالها فمن ذلك قولهم (اولاً) انَّ التوبة كافية للخاطئ فلا يحتاج الى سواها. فالجواب على هذا الاعتراض قد سبق بما اثبتناهُ من الفرق بين ذنب الخطيئة الذي يُمحى بسرّ التوبة وتَبِعة الخطيئة اي العقاب الزمني الذي يبقى على الخاطئ فتسامح بهِ الكنيسة بالغفران

يقولون (ثانياً) انَّ الموتى قد خرجوا من حكم الكنيسة فكيف تمنحهم الغفران. الجواب انَّ الكنيسة وان بطَلَ بالموت حكمُها على الموتى الّا انَّها تعتبر المتنيّحين كأبنائها وكقسمٍ من جسدها السرّي فايّ مانعٍ يصدّها من تقدمة استحقاقات آلام

وموت السيد المسيح غير المتناهية واستحقاقات العذراء مريم وجميع ابنائها القديسين للديّان العادل وهو رأسها السرّي ليشمل برحمته تلك النفوس المتألمة أفيمكنهُ ان يردّ طلبتها او يخيّب شفاعتها وهي عزيزتهُ التي وعدها بشخص رسله انها مهما طلبتهُ بالدعاء تنلهُ ؟

ومن اعتراضاتهم (ثالثاً) ان الغفرانات من شأنها ان تنشط الناس على فعل الخطيئة بسهولة منحها للخاطئ التائب. الجواب اننا لا ننكر انَّ الغفرانات تخفف عن عاتق الخاطئ لكنَّ التقييدات المنوطة بها هي على خلاف ذلك من الدواعي الفاعلة الى اصلاح سيرته

يقولون (رابعاً) انَّ الغفرانات تجارة سافلة لربح مال الناس اذ عُرضت للمبيع كالسلع. الجواب على انَّ الاحبار الرومانيّين في بعض ضيقات الكنيسة ولغايات شريفة منحوها بشرط ان يتصدَّق المؤمنون بصدقة اختياريّة لتحقيق تلك الغايات. منها بنيان كنيسة مار بطرس في رومية ومنها القيام ببعض مشروعات خيريّة كانشاء مياتم ومستشفيات وتهذيب الناشئة. وليس في ذلك اثرُ تجارة. وان وقع شيء من هذا القبيل فهو على خلاف نيّات رؤساء الكنيسة وبسبب بعض المطامع الخاصّة التي لا يترتّب عليها قانون ويمجّها ذوق الصالحين وينكرها كل صاحب ضمير

يقولون (خامساً) انَّ بين الغفرانات اربعينيّات وسبعينيّات وسنين. وكل هذا من الاختراعات الغريبة التي لا سند لها. الجواب على هذا في تعريف عادات الكنيسة الاولى التي كانت تفرض على التائبين قوانين منها اربعينيات الصوم ومنها سنوات محدَّدة وغير ذلك ممَّا أشرنا اليه. فحفظت الكنيسة الحاليَّة هذه النظامات القديمة بمنحها الغفرانات. ولا بأس في ذلك

وخلاصة القول ان الغفرانات مقدَّسةٌ صالحة لا غبار عليها في مصدرها وشيوعها يُثبت الوحي والتاريخ قانونيّتها وحسن مفاعيلها لا يحاول اعداء الكنيسة تزييفها الا زوراً مستندين الى حجج باطلة وما على المؤمنين الّا ان يستعينوا بها لتقديس نفوسهم وخلاص نفوس اخوتهم من عذابات الآخرة ولاسيما الغفران اليوبيلي وهو اعظمها (اطلب مقالتنا في اليوبيل وغفرانه (في المشرق ٤ [١٩٠١]: ١٧٩–١٨٨)

رحلة رسولية الى بلاد الجليل

بقلم حضرة الاب فردينان توتل اليسوعي (تتمة)

تمت مع الصيام المبارك ايام رحلتنا الرسولية في بلاد الجليل فعدنا الى سيادة المطران غريغوريوس حجار في حيفا وقدمنا لهُ ثمرة الاعمال وتزودنا ببركتهِ . على اننا رأينا ان نضيف الى اخبار رحلتنا هذه معلومات اخرى عن عكا والناصرة وشفاعمر كنا اجتنيناها في سياحة رسولية سابقة باشرناها لخدمة النفوس في تلك المحلات في اواخر العام المنصرم

عكا

دعاها الفينيقيون عكو واليونان بطلمايس والفرنج سان جان داكر (St Jean d'Acre) والعرب عكا وهي من اقدم المدن الفلسطينية عهدًا

عكا من ابنية الفينيقيين جعلوها عند رأس كانوا يشطون منهُ سفنهم وعند عودتهم من اسفارهم يجرُّونها الى اليابسة . بالقرب منها يجري نهر اسمهُ نهر نعمان عرفهُ الاقدمون باسم بيلوس عند ضفافهِ اكتشف الفينيقيون تركيب الزجاج . قال فيهِ بلينوس : ان بعض اهل فينيقية اوقدوا نارًا على ضفة هذا النهر بعود القلي واذا بالرمل الذي هناك تحوَّل زجاجاً فانتبهوا للامر وكان ذلك اوَّل اصل اكتشاف الزجاج . وما لا ريب فيهِ ان صناعة الزجاج ورقيها ورواجها كلّ ذلك من فضل اجدادنا الفينيقيين الذين سكنوا هذه الديار

في القرن الثاني عشر للمسيح بعد ما فتح الفرنج بيت المقدس ساروا على سيف البحر واخذوا مدن الساحل ومنها عكًا على انها ما عتمت ان عادت الى يد الاسلام لكن الحملة الصليبية الثالثة استردتها من المسلمين ومعها عود الصليب المقدس الذي كان حصل في ايديهم منذ وقعة حطين

واصبحت عكا في عهد الفرنج مركزًا لتجارة الغرب مع الشرق كان يؤمها

التجار الاوروبيون الكثيرون وربما جمعت في مرفإها مئتي سفينة ولا يزال الخان الموجود فيها الى يومنا بالقرب من الميناء يشهد لرواج سوقها في ذلك العهد

وفي ١٢ نيسان سنة ١٢٩١ حاصرها الملك الاشرف ابن قلاوون فامتنع فيها الهيكليون وكانوا قد ارسلوا النساء والاطفال الى قبرس ثم رأى بعضهم في اواسط ايار ان يستسلموا مع الامان . الّا انّ اعداءهم ما لبثوا ان فتكوا بهم فقتلوهم غدرًا ففضّل رفقاؤهم متابعة القتال والموت تحت انقاض المدينة (٣١ أيار ١٢٩١)

في سنة ١٧٧٥ سقط ظاهر العمر في عكا بعد ما حكم بلاد الجليل زهاء ربع قرن

وفي ١٨ آذار سنة ١٧١٩ ضرب بونبرت الحصار على عكا وكان الجزّار قد اصلح اسوارها المنيعة وهي من اعمال الصليبيّين وجهّزها بمدافع قويّة يديرها ضبّاط اوروبيون وجعل فيها حامية عديدة تستمد المؤونة بحرًا من « سيدنه سميث » كومودور الاسطول الانكليزي . تلك كانت معدّات الدفاع فضلًا عن شدّة الجزار وفظاظة طباعه

امّا الفرنسيون فتأذوا منذ بدء الحصار من قلة المؤونة والذخائر الحربيّة وكانت المدافع التي غنمها الانكليز من اسطول الاميرال «بيره» فادارها عليهم تعرقل حركاتهم وتمنعهم من التقرب من الاسوار . فما لبث ان فشا الطاعون والتيفوس في مصافهم فاضطرّ بونبرت الى الاقلاع عن عكا

وفي نيسان سنة ١٨٠٤ مات الجزار ودُفن في عكا في الجامع المعروف بجامع الباشا . زرنا قبره فرأيناه من خلال نافذة الجامع وهو قبر بسيط لا يمتاز عن سواه

وفي ٢٧ ايار سنة ١٨٣٢ فتح ابراهيم باشا عكا بعد ان حاصرها سبعة اشهر ثمّ استولى على سوريّة وتوغل في الاناضول وتهدّد القسطنطينيّة فاضطرّتهُ الدول الى التنازل عن فتوحاته واظهارًا لعزمها على تنفيذ المعاهدات ارسلت الى عكا في ٢ ت ٢ ١٨٤٠ اسطولًا مؤلّفًا من عشرين مركبًا حربيًا فأمطر على المدينة وابلًا من القنابل

وفي سنة ١٨٤٣ عاد الاتراك واصلحوا اسوارها وحصّنوها حتى أيام الحرب العظمى ولم يفطنوا بان الاستحكامات الضخمة لن تقوم زمانًا طويلًا تجاه المدافع الحديثة امّا في أيامنا فقد اصبحت عكا كخيال بالنسبة الى ما كانت عليهِ من العز

والغنى . ومع ذلك رأيتُ ان أتقصَّى اخبارها واليك ما اتّصلت اليهِ . يتراوح عدد سكانها بين ٦٥٠٠ و٧٠٠٠ منهم ٥٥٠٠ مسلم سنّي ومن وجهائهم عبد الفتاح السعدي وتوفيق عبدالله حقي والشيخ ابراهيم العقي وصالح افندي المحمد وبيت الشاذلية والشرطي والكردي والشيخ اسعد الشقيري مفتي الاوردو الرابع

ويبلغ عدد النصارى نحو ١٣٠٠ منهم ٨٠٠ روم ارثوذكس و ٣٢٠ روماً كاثوليكياً و٧٠ لاتينياً و ٤٠ مارونياً و ٤٠ بروتستانت والوجهاء من النصارى بيت الخزّام وسعد وفرح وكتفاكو وعزّام وبجوص وصفدي

ولا يزيد عدد اليهود عن عشرة والايرانيين عن العشرين لان اغلبهم هاجروا الى حيفا لوقوف الحركة التجارية في عكا وشدَّة الازمة فيها

على انَّ الميناء لا تزال تشحن بعض محصولات كالحبوب والزيت والزيتون وتورد الى الداخل فواكه وخضراً وسمكاً وقد بلغت المراكب التي دخلت الميناء في خلال سنة واحدة ٥٩٦ مركباً شراعياً وباخرتين كان محمولهما ٦١١٧ ثمَّ ١٠٩٥ طنّاً

وفي عكا مدرستان تديرهما الحكومة الواحدة للذكور والاخرى للاناث ومدرسة ابتدائية لراهبات الناصرة ومدرستان أُخريان للروم الكاثوليك . وفيها مستشفى يخدمه طبيبان وما عداهما خمسة اطباء يخدمون الاهلين . وقد احتلَّ فيها بعض الارمن المهاجرين من بلاد الاناضول

وللروم الكاثوليك في عكا كنيسة جميلة مرَّ لنا ذكرها (في المشرق ٢١[١٩٢٣]: ٧٤٧) وفيها كنيسة للموارنة وكنيسة للاتين ولليهود كنيس واحد

وفي عكا جوامع عديدة اهمُّها جامع الباشا بناه الجزار سنة ١٧٨٠ لهُ صحن مربَّع يحدق بهِ اروقة مسقوفة . وفي وسطهِ شجر البرتقال والنخل والسرو تخيّم بظلّها على قبور باشاوات عكا . وفي داخل المسجد قطع رخام جميلة وعواميد وتيجان وغيرها من الاحجار المنحوتة الثمينة التي اقتلعها الفاتحون من كنائس قيصرية وصور واستعملوها في البناء

وبينما كنّا نطّلع على المسجد تقدَّم اليَّ شاب من الدارسين وقال لي : ما بالك لا تدخل تصلّي . فادهشني كلامهُ وهو يراني بثوب الكهنوت . فنظرت اليهِ شزراً فسكت الى ان تقدَّم اليهِ رجل عاقل وقال لهُ : « اتركهُ كلٌّ يصلّي على دينهِ »

وفي الجامع مدرسة للعلوم الاسلامية فسألت هل يتاح لي ان ارى المكتبة فتردد الشبان الذين كانوا حولي بامرهم ثم دعوني فدخلت غرفة فيها كتب عديدة كلها دينية الّا البعض منها في التاريخ واللغة وقلّما يوجد بينها كتاب حديث . ولمّا طلبت ان أطّلع على قائمة المكتبة قدّم لي خازنها كتاباً فيهِ ردٌّ على النصارى . فقلتُ : حسبي . وخرجتُ .

وفي الهجعة الاخيرة من الليل بعد صياح الديك استيقظتُ فاذا صوتُ المؤذّن يملأ الفضاء ... داعياً قومهُ الى الصلاة فاسرعتُ الى اتمام فرائضي الكهنوتيّة واقامة الذبيحة الطاهرة .

اقمتُ في عكا اسبوعين ملقياً فيها عظات الرياضة للسيدات اولًا ثم للفتيات وأبتْ تلك المسيحيات الصالحات الّا ان يكون لرجالهنّ واخوتهنّ رياضةٌ خصوصية ففتحتْ راهبات الناصرة كنيستهنّ للرجال الى ان جاءتنا دعوة من السيد غريغوريوس حجّار لنقيم الرياضة في كنيستهِ الكاتدرائيّة ففعلنا فاستغرقت تسعة ايام ويوم اختتامها صباحاً ودّعنا وجهاء المسيحيين في عكا وسرنا الى الناصرة شاكرين المولى على ما وجدناهُ من مظاهر التقوى والعبادة عند المؤمنين .

الناصرة

فيها بشّر رئيس الملائكة جبرائيل سليلةَ ملوك اسرائيل ابنةَ داود السيدة البتول مريم بسرّ التجسّد (لوقا ١ : ٢٦—٣٩) . منها اشرق على العالم نور الحق سيدنا يسوع المسيح الكلمة الازلي الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس (لوقا ٢ : ١—١٩) وفيها قضى ثلاثين سنة من حياتهِ المحتجبة (لوقا ٢ : ٣١—٤٠) ثم تردد اليها في ايام حياتهِ العامّة (لوقا ٤ : ١٦) ومنها دُعي ناصريًّا (متى ٢ : ٢٣) كما دُعينا بها نصارى . وكل ما يوجد فيها من آثار مقدسة ومعاهد دينيّة أُقيم تذكارًا لتلك الاسرار المهيبة المدهشة العقول

«هنا الكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا» (يوحنا ١ : ١٤)

هذه هي الكلمات التي يقرأها المؤمنون منقوشة على الرخام في مغارة كنيسة

البشارة الملوكية المبنية على آثار قديمة العهد يعتبرها التقليد منذ القرون الاولى مكان إقامة مريم العذراء لمّا دخلْ عليها الملاك

على عهد قسطنطين بُنيت في هذا المكان كنيسة زارها سنة ٥٧٠ مؤرخٌ غفلٌ يُعرف بالزائر البليزنسي (Anonyme de Plaisance)

وفي سنة٦٣٦فتح العرب الناصرة ولم يخربوا معابدها لكنهم ضربوا على زوّارها الضرائب

واخذ الصليبيون الناصرة سنة ١٠٩٩ وجعلوها قاعدةً لإمارة الجليل واقاموا فيها كرسي اسقفية بَيسان وزارها مار لويس ملك فرنسة سنة ١٢٥٢ . وفي سنة ١٢٦٣ دخل الناصرة الملك بيبرس وعاث فيها فسادًا ودمّر كنيسة البشارة تدميرًا

وفي سنة ١٦٢٠ رسخت في الناصرة قدم الاباء الفرنسيسكان بفضل تعطُّف الامير فخر الدين على المسيحيين وحماية قنصل فرنسة في صيداء

واظهر ضاهر العُمَر (١٧٥٠—١٧٧٥) إكرامهُ لكنيسة البشارة فكان قنديلٌ يضيء فيها ليل نهار على نفقتهِ . ودخلها ايضاً بونبرت لمّا حلّ الفرنسويون في الناصرة سنة ١٧٧٩ . وفي أيام الحرب الكونية اصبحت المدينة مستودعاً للزاد ودفنوا فيها بالقرب من مستشفى اخوة مار يوحنا الالهي ٤٨ من رجال الطيران الالمان واغلبهم من اشراف بلادهم لا تزال قبورهم في ظلّ الصلبان وقد نُصبت عليها من بقايا اخشاب الطيارات التي هوت بهم الى الموت في ساحة الشرف

لايسعني المقام ان اذكر كل ما في هذه المدينة المقدَّسة من الآثار الكريمة والمعابد التي يقصدها الزوار من اربعة اقطار المسكونة بل أقتصر على تدوين ما لحظتهُ بعيني واختبرتهُ بنفسي مما لم يُذكر بعد في الكتب الشائعة بين العامة

عدد النفوس في الناصرة ٦٬٥٠٠ بحسب الاحصاء العام و ٩٬٠٠٠ بحسب تخمين الاهالي يُقسَّمون ثلثة اثلاث متساوية من مسلمين وروم كاثوليك واورثذكس

ومن وجهاء الروم الكاثوليك بيت شومر وتابري ومزاوي وسروجي ولحام وزهر وحداد . ومن وجهاء اللاتين بيت صالح وبطحين وطنوس . ومن الموارنة بيت الحلو وشمردق وشكاو ومرشه وجبور . ومن الارثوذكس بيت قعوار وفرح والخليلية والخنادسة . ومن وجهاء الاسلام بيت فهوم وعباس وضاهر (الزيادنة)

تجولنا في ازقّة الناصرة ابان حلولنا فيها في اوائل الشتاء. فكان الرواج فيها للحدّادين لان موسم الفلاحة كان قريباً وكان اهل القرى المجاورة يأتون المدينة ليصلحوا ادواتهم الزراعية او يشتروا غيرها

ومما يُلفت النظر أوجه الاولاد الصبوحة فكأن السيد المسيح اراد ان يدل على سحنة مواطنيهِ شيئاً من طهارة ملامحهِ . وقد عنَّ لي ان ألقي عظات رياضة خصوصية لاولاد مدرسة الروم الكاثوليك وذلك في المعبد الذي يكرمون فيهِ آثار المجمع القديم الذي دخله يسوع وقام فيهِ مرشدًا بين مواطنيهِ كما رواه القديس لوقا (٤: ١٦-٣١) قال :

«واتى يسوع الى الناصرة حيث نشأ ودخل كعادتهِ الى المجمع وقام ليقرأ . فدُفع اليهِ سفر إشعيا النبي فلما فتح السفر وجد الموضع المكتوب فيه « ان روح الرب عليَّ ولاجل ذلك مسحني وارسلني لأبشر المساكين وأشفي منكسري القلوب وأنادي للمأسورين بالتخلية وللعميان بالبصر وأطلق المهشمين الى الخلاص وأكرز بسنة الرب المقبولة ويوم الجزاء». ثم طوى السفر ودفعه الى الخادم وجلس وكانت عيون جميع الذين في المجمع شاخصةً اليهِ فجعل يقول لهم : اليوم تمّت هذه الكتابة التي تُليت على مسامعكم وكان جميعهم يشهدون لهُ ويتعجبون من كلام النعمة البارز من فيهِ ويقولون : أليس هذا هو ابن يوسف . فقال لهم : لا شك انكم تقولون لي هذا المثل ايها الطبيب اشفِ نفسك كلَّ ما سمعنا انك صنعتهُ في كفرناحوم اصنعه ايضاً ههنا في وطنك . وقال لهم : الحقّ اقول لكم انه ليس نبيٌّ مقبولاً في وطنه . . . »

ثمّ ضرب لهم مثلين مثل ايليَّا النبي الذي لم يُبعث في أيام المجاعة الّا الى أرملة صَرفتَ صيداء . ومثل أليشع النبي الذي لم يطهّر من البرص غير نعمان السوري

اراد بذلك ان يبيّن لهم عدم استحقاقهم لان يفعل بينهم العجائب ولذلك يختم القديس لوقا كلامهُ بقولهِ :

« فلما سمع هذا الذين في المجمع امتلأوا كلهم غضباً فقاموا واخرجوهُ الى خارج المدينة واقتادوه الى قمة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنيّةً عليهِ ليطرحوه عنها امَّا هو فجاز في وسطهم ومضى »

وبما ان اليهود بقوا في الناصرة مدة اجيال بعد موت المسيح ولا حرج عليهم لم يزل مجمعهم هذا معروفاً الى ان حوّلهُ النصارى في القرن الخامس او السادس للميلاد الى كنيسةٍ زارها « البليزنسي » المذكور ومع تطوُّر الايام لم ينقطع ذكر هذا المكان المقدَّس فقد شاهد فيه كنيسةً احد زوار القرن الثاني عشر . وروى آخر سنة ١٦٥٢

انَّ تلك الكنيسة كانت معروفة وعيَّن محلّها في اواسط المدينة ٠

وفي سنة ١٧٤١ ابتاع الآباء الفرنسيسكان انقاضاً كانت في تلك الارض وشادوا عليها معبداً تنازلوا عنه الى الملكيين بعد ان ربطوهم بالوحدة الكاثوليكية

وفي جوار المجمع القديم بُنيت كنيسة جميلة على اسم البشارة للروم الكاثوليك يقوم بخدمتها حضرة الارشمندريت اسطفان زيتوني تحت رعاية السيد غريغوريوس حجار تسنى لنا ان نلقي فيها قُبَيل عيد الميلاد سنة ١٩٢٢ رياضة للرجال

كنيسة يسوع الصبي الملوكية

في شمالي المدينة الغربي جبل بنى عليه الآباء الساليزيون كنيسة يسوع الصبي يشاهد الناظر من ابراجها مدينة الناصرة وما وراءها جنوباً مرج ابن العامر وقرية تاثين ويرى مرفأ حيفا وجبال الكرمل غرباً وجبال جلعاد شرقاً ما وراء بحيرة طبرية

هذه الكنيسة الملوكية آية من فنّ البناء الغوطي الخالص (انظر صورتها) رسمها المهندس غوتيه وراقب عمارها احد ابناء الناصرة المعروف باسم داود وعُني بجمع الاموال لعمارها حضرة الاب ريكيه رئيس الساليزيين في الناصرة حالًا

وكلها بُنيت على نفقة السيدة الافرنسية فوش دي سرڤيلي والسيد ماكس كارون (Foache de Cervilly et Max Caron)

حالما يدخلها المؤمن يشعر كأن نفسه تمتلئ بروح هذا المعبد روح الطهارة كما يحلم بها احبّاؤها ويعشقونها انيقة بيضاء مجنحة اشبه منها بالارواح ٠ في شرقنا العزيز معابد كثيرة عُني المؤمنون بزينتها وتأنيقها لكني لا اظن ان معبداً منها يرفع القلوب الى ما فوق الزخارف الفنية حتى الكمال الالهي مثل كنيسة يسوع الصبي

تشقّ عواميدها الفضاء رشيقة هيفاء حتى اذا اقتربتَ من السقف تشعَّبت اربع زواياها بخطوط تتسلّق جوف الحنيَّة وتمتد الى منتصف ظهر العماد حيث تلتقي بخطوط أُخر تأتيها من تجاهها فلا ترسم معها اقواساً كما في الفنّ السوري لكن تنقطع امامها فينتج عن قطع الخطوط المنحنية صورة اقواس مقصوفة بنصفها وهذه هي مزية الطرز الغوطي (style gothique) الجوهرية في البناء ٠

ولهُ ايضاً مزايا تفرقهُ عن الفن السوري الشرقي فبينما كنائسنا وغيرها من المعاهد

الدينية تظهر بالوان مزخرفة جميلة تحت قبة تحجب منظر السماء وتبهر عيون المؤمنين فتقرّ لما تعاينهُ في بيت الله من بهاء وجلال . ترى الكنائس الغربية المبنية على الطرز القوطي بيضاء الداخل بل ومعتّمة احياناً حتى اذا ركع فيها المؤمن ورفع رأسهُ طاش نظره باتباع خطوط العواميد وهي تشق الفضاء كأنها ليس لها قرار فيتذكر المسيحي ان لا مقرّ لهُ على الارض

وهذا ما يشعر بهِ الزائر اذا دخل كنيسة يسوع الصبي في الناصرة

تمثال يسوع الصبي

وفي صدرها فوق المذبح تمثال يسوع الصبي وهو ابن ثماني عشرة سنة على وجهه امارات الفضائل الالهية الانسانية التي تفرّد بها : الطهارة والوداعة والذكاء

ولاثحته شرقية كلو انحنا بيدهِ الشمال يتكئ على عصاً يعلوهُ الصليب وبيده اليمنى يدعو الشبان ليسيروا معه وكأنَّ رجله اليمنى تتحرَّك للسير

ما اجمل هذا التمثال وما اسمى عاطفة الايمان التي اوحت برسمه لابن الفن . قد اعتاد بعض اهل الشرق (وبئس العادة تسربت الينا من الوثنية من ديانة اللحم والدم) ان يروا في سنّ الصبا سنّ التمتع بالشهوات يا ليتهم يدرون ما في سنّ الصبا من جمال وكمال اذا عرف الشاب ان يحفظ فضيلة الطهارة فليس من بهاء يسبي قلوب الملائكة والبشر كبهاء زهرة الطهارة تلوح على محيا الصبي المسيحي وهو في ربيع العمر . تلك الفضيلة تفوح رائحتها في كنيسة يسوع الصبي في الناصرة وتملأ القلوب لانها على القمم قريبة من السماء بعيدة عن الارض التي يطرقها العامة

وسوف تأتي بدعةً من البدع اذا اقاموا ما بين جدرانها تماثيل للقديسين الذين امتازوا بطهارتهم وعاشوا ملائكةً متقمصين بجسد انسان : كلويس غونزاغا وستانيسلاوس كوستكا ويوحنا بركمنس والطوباوي جبرائيل الأمّ الحزينة والطوباوية ترازية يسوع الطفل . . .

وقد اصبح هذا المعبد مزارًا لزائري الجليل والناصرة ففي ٦ ايلول سنة ١٩٢٢ زارهُ سيادة المطران بودرليار رئيس المعهد الكاثوليكي في باريس مع عدد عديد من المؤمنين وكانوا يحملون سجلًا ضخماً كتبوا عليه اسماء ثلاثين الف صبي او صبية كرّسوا شبابهم ليسوع الصبي وكان ذاك الحج هو الحادي والخمسون للآباء الصعوديين

شفا عُمَر

قد سبق الاديب محمَّد سليم الانسي والمرحوم الاب انطون ربّاط فوصفا شفاعمر وصفاً مطوَّلًا من حيث اسمها وتاريخها وآثارها واخلاق اهلها في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٠٣٣—١٠٣٨) فلا نرى موجباً لتكرارهِ اذ ليس في الاعادة افادة . وانَّما يجدر بنا ان نذكر اهمّ أُسرها كما ذكرنا اعيان الامكنة التي زرناها فينتمي النصارى في شفاعمر الى بيوت تلحمه وكركبه وعزّام وحداد وارمله . وزعيم الاسلام فيها محمَّد خمادي . وراعي النفوس للطائفة الكاثوليكية هو الاب الفاضل الخوري اغابيوس عطايا المخلصي

وفي شفاعمر مدافن قديمة سبقت عهد العرب قد وصفها حضرة الاب سبستيان رنزڤال (Mélanges de la Fac. Or., III, 33*-34*) ونشر صورها وهي منقورة في الصخر . بينها مدفنان في مدخلهما نقوش لطيفة يرقيها حضرته الى القرن السادس للميلاد . وقد بيّن انها بقايا من الصناعة المسيحيّة التي شاعت في ذلك الزمان وقابلها بآثار اخرى تشبهها في فرنسة وايطالية وتظهر ما بين هذه النقوش من العلاقة على اختلاف مواقعها .

عبلين

لا نجد ما يحسن بنا ان نزيد في وصف عبلين على ما اوردتهُ مجلّة المشرق (٨ [١٩٠٥]: ١٠٣٤—١٠٣٥) . ومما لم يذكر هناك انَّ هذه القرية وطن الاخت مريم يسوع المصلوب الكرملية المتوفّاة في بيت لحم في ٢٦ آب سنة ١٨٧٨ وقد فاح من شخصها عطر قداسة لا يزال يزكو مع ذكرها في النفوس التي حظيت بمعرفتها في حياتها او بما بلغها من اخبارها بعد مماتها

على الرغم من متاعب الرياضة وضيقة الوقت رغبتُ ان لا ابارح شفاعمر دون ان أرى رأي العيان ما بقي من بيت خادمة الله المذكورة التي تسعى الكنيسة بفحص سيرتها لتنظمها في مصافّ الطوباويين فتكون مجدًا للشرق ورابطة بين قديسي القرون الاولى وبيننا اذ تكون اول شرقيّة نكرمها على الهياكل من ابناء سوريّة منذ قرون عديدة

دخلتُ الكنيسة التي تعمّدت فيها مريم وقستُها بخطواتي فاذا طولها ٢٢ خطوة وعرضها ١٢ وسقفها معقود كالقبو وفي وسطها عمود كان عليهِ الجرن الذي فيه صُبغت بمياه المعموديّة اما الآن فوضعوا على العمود غطاء واتّخذوهُ كقراءة للصلوات الطقسيّة . وبوجه الهيكل ستار حديث أهدتهُ راهبات الناصرة لكنيسة عبلين . وعلى الهيكل نفسهِ مسدول غطاء آخر أرجواني قدّمته راهبات الكرمل اكرامًا لاختهنّ

وقريبًا من الكنيسة آثار بيت جرجس بواردي ومريم شاهين ابوي مريم يسوع المصلوب وهي عبارة عن احجار متراكمة وبقايا درج وقنطرة ما زالت معقودة في الفضاء . تحقّقنا من فحصها أنها كانت على شبه سائر المساكن في عبلين والقناطر فيها تحمل

السقف وتفصل بين العتبة الواسعة المخصصة للحيوانات والمصطبة العريضة المفروشة للسكان . وهناك قطعة جسر خشب غليظ كبير كان يحمل سقف بيت مريم يسوع المصلوب . وبالقرب من الدار جرن اصله تاجٌ لعمود قديم يروون انهُ كان جرناً يصنع فيهِ البارود جرجس ابو مريم وتلك كانت مهنته وبها عُرف بالبواردي

وقد بقيت انقاض هذه الدار مهملةً لا يكترث لها احد الى ان شاع صيت قداسة الراهبة فجعل الناس يأتون لزيارة مسقط رأسها الحالي وهو اليوم ملك الخواجا اسعد توفيق من طائفة الروم الكاثوليك وقد انتقل اولًا بطريق الشراء من اسرة بواردي بعد وفاة جرجس بواردي الى المدعو فرح ثمَّ الى اسعد حبيب حتى انتهى الى اسعد توفيق المذكور . وبلغني ان سيادة المطران غريغوريوس يسعى في شراء هذه الارض الحقيرة وبقايا الانقاض حفظاً على ذكر مريم يسوع المصلوب ابنة ابرشيته

واذا صحَّ ما سمعناه عن مصدر يوثق به ان جرجس بواردي ومريم شاهين اصلهما من دمشق ومن لبنان وان اصل عائلة مريم من الطائفة المارونية(١) وانها لما حلّت عبلين ولم يكن فيها كنيسة للموارنة انضمت الى الطائفة الملكية الكاثوليكية فيكون الامر شاهداً جليًّا لعناية الله تعالى بكنيسته ووحدتها هو الذي اتخذ له صفيةً هذه الابنة التي تقدست في الطائفة اللاتينيَّة وتعمدت في الملكية وفي عروقها دم المارونية فسبحان موحّد القلوب

***

بلغنا آخر محطة من رحلتنا في هذا العام بعد ما قضينا ثلاثة اشهر نتجول في الجليل فاختلطنا بالسكان وتعرفنا عن كثب بحضرة الاباء الخوارنة وتحققنا بام العين الخير العظيم الذي يحصل في الاراضي المقدسة بهمة الاكليروس ورأينا الموانع التي تحول دون نجاح مشاريعهم نجاحاً سريعاً ثابتاً فيجدر بنا ان نختم مقالتنا بابداء بعض الافكار التي تدور في خلد كل من انعم النظر في حياتنا الدينيَّة والادبيَّة

(١) ولعلَّ الاصحَّ انَّ اصل والدها من الطائفة المارونيَّة فانَّ حضرة راهبة الناصرة الامّ بيكوله (la Mère Bécoulet) افادتنا في مكتوب كُتب من عكا باسمها في ١٤ ت٢ انها سمعت من شقيقة مريم يسوع المصلوب انَّ اصل عائلة ابيها من الطائفة المارونيَّة. فندوّن الخبر دون الجزم به كما بلغنا (المشرق)

كنت اودع اخوتي الكهنة في الجليل وقلبي ملؤه الاحترام لما كنت اجده عندهم من الضنك في العيش والصبر على المحن والهمة في سبيل مصالح رعاياهم فلا يحدث امر ذو شأن في القرى الّا ويلجأ اهلوها الى خادم رعيّتهم وهو حقيقةً ابوهم ومساعدهم لكن لهذه الحالة خطر يبدو لكل عاقل مفكر . ان وقت الكاهن اقصر من ان يستطيع ان يصرفهُ في مصالح ابنائهِ الزمنية اذ يصعب عليهِ القيام بواجباتهِ الكهنوتية اعني الصلاة والعناية بكنيسته وتثقيف الاولاد بالتعليم المسيحي فربَّ اولادٍ لا يكادون يعرفون الصلوات الضرورية وان لم يكترث بهم الراعي يبقوا جاهلين ديانتهم حتى اذا نشأوا وانهمكوا في شؤون العالم زلّت قدمهم لادنى عثار في طريقهم . فكم منهم غيّروا دينهم وذهبوا هذا الى شقاقهِ القديم وهذا الى البدع البروتستانية وقد يتقلّب الواحد بين المذهبين يوماً مع الكاثوليك ويوماً مع سواهم وذلك لدواعي عالمية لا تؤثر عادةً في النفوس المتنورة بحقائق الايمان الصحيح .

يا ليتنا نحن كهنة المدن نعرف ما هناك في القرى البعيدة من نفوس مهملة فداها المسيح بدمه الزكي وليس لها من يرشدها . فنمدّ يد المساعدة الى اخوتنا كهنة القرى الذين يصحّ فيهم قول الرسول انهم « خدّام الله في الصبر الكثير والمضايق والضرورات والمشقّات والجلدات والسجون والاضطرابات والاتعاب والاسهار والاصوام والطهارة والعلم والاناة والرفق والروح القدس والمحبة بلا رئاء وكلمة الحق وقوة الله . . . » (٢ كور ٦ : ٤-٧)

وليس الجهل الآفة الوحيدة التي غشيت تلك الاصقاع ولعلّ ما شاع بين اهلها من الشقاق والخلاف وتفرّق الكلمة اسوأ واضرّ فاين ما كانت عليهِ فلسطين في القرون التابعة لتنصُّر قسطنطين حيث كان الاهلون على دين واحد خاضعين لكنيسة واحدة ساعين الى غاية واحدة جامعة بين دينهم ودنياهم . واليوم ترى تعدُّد الاديان وتباين الاحزاب واختلاف الكلمة فمن لنا برسول ينشر فيهم دعوة الاتحاد فتصدق فيهم رعية واحدة وراعٍ واحد . فانهم كلّما اقتربوا من الوحدة التي كان عليها آباؤهم ازدادوا رقياً وعمراناً حقّق الله هذه الاماني قريباً ان شاء الله !

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

الاخطل (تتمّة)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

﴿ نخبة من شعرهِ ﴾ أنّنا لو حاولنا ان نختار شيئاً من ديوان الاخطل اصابنا ما اصاب تلك الاعرابيَّة التي سُئلت عن ايّ اولادها أحبُّ اليها والافضل لديها فكانت اذا ذكرت الواحد منهم بعد الآخر قالت انّهُ الاحبُّ اليها والافضل حتى انتهت الى قولها بعد حَيرتها : انّهم كالحلقة المُفرَغة لا يُدرى اين طرفاها . فكذلك اذا اعتبرنا قصائد الاخطل وجدنا كلًّا منها جديرة بالذكر لمحاسنها . على انّنا في آخر امرنا اضطرَّنا ضيق المجال ان نُثبت نُتفاً قليلة من شعرهِ نجعلها كمثال في كل باب

﴿ اقوال الاخطل في الوصف ﴾ للشاعر التغلبي في هذا المعنى اقوال جميلة من الشعر الحرّ حتى قيل عنهُ انهُ فاق على سواهُ من الشعراء بالوصف فلهُ في الزهد (الديوان ١٧٦-١٧٧) (من الطويل) :

أعاذِلَتيَّ اليومَ وَيحكما مَهلَا ... وكُفَّا الأذى عني ولا تُكثِرا عَذلَا

ذَراني تَجُدْ كَفّي بمالي فانّني ... سأُصبحُ لا أَسطيعُ جودًا ولا بُخلَا

اذا وضعوا فوق الضريحِ جنادلًا ... عليَّ وخلَّيتُ المَطيَّةَ والرَّحلَا

وأبكيتُ من عِتبانَ كلَّ كريمةٍ ... على فاجعٍ قامت مشقَّقةً عُطلَا(١

مُدَمّيةً حُرًّا من الوجهِ حاسرًا ... كأن لم تمِتْ قبلي غلاماً ولا كهلَا

---

١) عِتبان قوم من بني تغلب . والفاجع امرأتهُ الثكلى . والمشقّقة التي تشقّ ثيابها حزنًا . والعطل المجرَّدة من الحُلى

وقد كُنتُ فيما قد بنى ليَ حافري اعاليَـهُ توًّا واسفلَـهُ دَحـلَا (١

فـلا انا مجتـازٌ اذا مـا نزلتُـهُ ولا انا لاقٍ ما ثوَيتُ بهِ أهـلا

وقد قسَّموا مالي وأضحت حلائلي قد استبدلَت غيري ببهجتها بَعلَا

أعاذِلَ انَّ النفس في كفّ مالكٍ اذا ما دعا يوماً اجابت لهُ الرُّسْلَا

ذَرِيني فـلا مالي يَرُدُّ منيَّتي وما إن أرى حيًّا على نفسهِ قُفْلا (٢

وليس بَخيلُ النفس بالمال خالدًا ولا من جوادٍ فأعلمي مَيتٍ هَزْلا

ألا رُبَّ مَنْ يَخشَى نوائبَ قومهِ وريبُ المنـايا سابقاتٌ بهِ الفِعْلا

ويا رُبَّ غـادٍ وهو يُرجى إيابُهُ وسوفَ يلاقي دون أوبتـهِ شُغلا

وقد اشتهر وصفهُ للفرات عند فيضانهِ (٩٦–٩٧) شبَّه بهِ كرم الخليفة يزيد بن معاوية (من الطويل) :

وما مُزبِدٌ يَعلو جزائر حـامرٍ يَشُقُّ اليهـا خيزُراناً وغرقدا (٣

تحرَّز منهُ اهلُ عانَةَ بعدَما كسا سُورَها الأعلى غُثاءٌ مُنضَّدا (٤

يُقَمِّصُ بالمـلَّاح حتى يَشُفَّهُ م الحِذارُ وان كان المُشيحَ المعوَّدا (٥

بِمُطَّرِدِ الآذِيِّ جونٍ كـأنَّمـا زَفا بالقراقيرِ النَّعامَ المُطرَّدا (٦

---

١) يقول ان حافر قبري قد بناهُ توًّا اي منصوب البناء ودَحلًا اي كالسراب تحت الارض

٢) اي يجعل لنفسه قفلًا ليصونها من الموت

٣) ويروى: جلاميد حامر. وحامر ناحية بين منبج والرقَّة على شاطئ الفرات. والغرقَد كبير العوسج ٤) عانة قرية على الفرات. والغثاء ما يقذفهُ النهر من الزَّبَد ونفايات النبات والاوراق. والمنضَّد المتراكم ٥) يقمّص بالملَّاح اي يوقع اضطرابًا في السفينة حتى يُخيف الملَّاح من سَوْرتهِ وان كان مشيحاً اي حاذقًا في تدبير السفن

٦) المطَّرد المتتابع. والآذيّ الموج. والجون الابيض المُزبد. وزفا حثَّ. اي يدفع الفرات بامواجهِ المتوالية المزبدة سفينة الملَّاح المُشبَّهة بشراعها الابيض طير النعام الناشر جناحيهِ عند طردهِ

كأنّ بناتِ الماء في حَجَراتِهِ ... أباريقُ اهدَتها دِياقُ لصَرخدا (١
بأجوَدَ سَيباً من يزيدَ اذا غدَتْ ... بهِ بُختُهُ يَحمِلنَ مُلكاً وسُودَدا (٢

وكم اجاد الاخطل بوصف صيد ثور الوحش فله فيهِ كلّ حسنة كقولهِ (٢٦٠–٢٦٢) يشبه ناقتهُ بعد طول سيرها بضمور الثور (من البسيط) :

كأنّها بعدَ ضمِّ السَّير جَبلتَها ... من وَحشِ غزّةَ مَوشيُّ الشَّوى لَهِقُ (٣
باتت لهُ ليلةٌ هاجت بوارحُها ... ومُرزِمٌ من سَحاب العَين يأتلِقُ (٤
يلوذُ ليلتَهُ منها بغَرقدةٍ ... والغصنُ يَنطِفُ فوقَ المَتنِ والورَقُ (٥
باتَ الى جانبٍ منها يكفّئُهُ ... ليلٌ طويلٌ وقلبٌ خائفٌ أرِقُ (٦
فالقَطرُ كاللؤلؤِ المَنثورِ ينفضُهُ ... اذا اقشعرَّ بهِ سِربالُهُ اللَّثِقُ (٧
حتى اذا كادَ ضوءُ الصُّبحِ يَفضَحُهُ ... وكاد عنهُ سوادُ اللَّيلِ يَنطلِقُ
هاجت لهُ ذُبَّلٌ مُسْحٌ جواعِرُها ... كأنّما هنَّ من نَبعيّةٍ شِقَقُ (٨
فظلَّ يَهوي الى أمرٍ يُساقُ لهُ ... وأتبَعَتهُ كلابُ الحيِّ تَستبِقُ (٩

١) بنات الماء الطير . والحَجَرات نواحي النهر. شبّه الطير بأباريق من الخمر يرسلها اهل دياق الى اهل صرخد وهما قريتان في حوران ٢) البُخت الابل الخراسانية

٣) يقول انّ ناقتهُ بعد ان اضمر السير جبلتها اي بدنها اشبهت ثور وحش يُعزى في انماء غزّة . وجلدُ شواه اي قوائمهُ . مَوشيّ اي شبيه بالوشي . واللَّهق واللَّهِق الشديد البياض

٤) البوارح الرياح الشديدة ثمّ استعار للسحاب عيناً . مُرزم اي تُسمع صوت الرعد حيناً وتأتلق اي تبرق حيناً آخر ٥) اي يأوي ليلتهُ تحت غرقدة اي عوسجة كبيرة يهمل على جسمهِ منها نقط المطر التي تقطر عليهِ من اغصان الغرقدة واوراقها ٦) منها اي من الغرقدة . يكفئهُ يقلبهُ ذات اليمين وذات الشمال لطول الليل وخوفهِ من الريح والمطر . وهو أرِق اي ساهر يقظان ٧) سرباله جلده . واللَّثِق المبتل ٨) هاجت لهُ اي ثارت كلاب ذُبَّل اي ضامرة . مُسْح جواعرها اي دقيقة المؤخر. تشبه بضمورها القسيّ المتخذة من شجرة النَّبع ٩) يهوي الى امر يساق لهُ اي يهبط سائراً الى موتهِ

يُفرّجُ الموتَ عنهُ قد تحضَّرهُ   وكِدْنَ يَلحَقْنَهُ او قد دَنا اللَّحَقُ (١
لمَّا لحِقْنَ بهِ أنحى بمِغوَلهِ   يَمْلا فرائصَها من طعنهِ العَلَقُ (٢
فكرَّ ذو حربةٍ يحمي حقيقتَهُ   اذا نحا لِكُلاها الرَّوْقُ يَمترِقُ (٣
فهنَّ من بين مبروكٍ بهِ رَمَقٌ   صَرعى وآخرَ لم يُترَكْ بهِ رَمَقُ (٤

ومن اوصافهِ قولهُ (ص ٣-٤) في خمر بَيْسان من قرى فلسطين (من الطويل):

وجاؤوا بِبَيْسانيَّةٍ هيَ بعدما   يَعُلُّ بها الساقي ألذُّ وأسهَلُ (٥
فصبُّوا عُقارًا في الإناء كأنَّها   اذا لَمَحوها جُذوةٌ تتأكَّلُ (٦
تمرُّ بها الأيدي سَنيحاً وبارحاً   وتوضَع باللهمَّ حيِّ وتُحمَلُ (٧
وتُوقَفُ أحياناً فيَفصِلُ بيننا   سَماعُ مُغَنٍّ او شِواءٌ مُرَعْبَلُ (٨
فلذَّت لِمُرتاحٍ وطابَت لشاربٍ   وراجعَني منها مِراحٌ وأَخيَلُ (٩
فما لَبِثَتْنا نَشوةٌ لحِقَتْ بنا   توابعُها ممَّا نُعَلُّ ونُنهَلُ (١٠

---

١) فرَّجهُ ابعدهُ . تحضَّرَهُ اي شعر بحضورهِ . اللَّحَق الإدراك
٢) انحى اليها بمِغوَلهِ اي قصد الكِلاب بقرنهِ . والعَلَق الدم
٣) اراد بحربته قرنهُ . وكذلك الرَّوْق القرن اي كرَّ الثور دفاعاً عن نفسهِ وحماه وقصد كُلاها اي جلد صدورها فامترقها وخرقها
٤) هي اي الكلاب وقع بعضها صريعاً مُدنَفاً وبعضها ميتاً . الرَّمق بقيَّة الحياة
٥) اي انَّ هذه الخمر أطيب اذا كرَّر الساقي سَكبها فيَعُلُّ بها الشاربين اي يسقيهم ثانيةً
٦) العُقار الخمر العتيقة . شبَّهها في انائها بشعلة من النار المتَّقدة
٧) اي تتناولها الايدي تارة من اليمين وتارة من الشمال . ويُذكر عليها اسمُ الله عند رفعها ووضعها
٨) اي لا يتوقَّفون عن شربها الَّا لسماع الغناء او لأكل قِطَع من اللحم المشويّ رَعبَل اللَّحمَ قطَّعهُ لينضج على النار
٩) المِراح النشاط . والأخيَل كالخُيَلاء العُجب والكبر
١٠) النشوة السكر . والنَّهَل اوَّل الشرب والعَلَل ثانيه

فدبّت دبيباً في العظام كأنها ... دبيبُ نِمالٍ في نقاً يتهيَّلُ (١

ومثلهُ ظرافةً وصفهُ (ص٣٢١) للشمل السكران (من الطويل) :

شربنا فمتنا مِيتةً جاهليَّةً ... مضى اهلها لم يعرفوا ما محمَّدُ (٢
ثلثةَ ايامٍ فلمَّا تنبَّهتْ ... حُشاشاتُ انفاسٍ أتتنا تردَّدُ (٣
حَيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ ... علينا ولا حشرٍ أتاناهُ موعِدُ (٤
حياةَ مِراضٍ حولهم بعد ما صحَوا ... من الناس شتَّى عاذلون وعُوَّدُ (٥
وقُلنا لِساقينا عليك فعُدْ بنا ... الى مثلها بالأمسِ فالعَوْدُ أحمدُ
فجاء بها كأنَّما في إنائهِ ... بها الكوكبُ المرِّيخُ تصفو وتُزبِدُ (٦
تفوحُ بماءٍ يُشبهُ الطيبَ طيبُهُ ... اذا ما تعاطت كأسَها من يدٍ يدُ
تُميتُ وتُحيي بعد موتٍ وموتُها ... لذيذٌ ومَحياها ألذُّ وأحمدُ

﴿الفخر﴾ وللاخطل في الفخر (ص٣٠٧) قولهُ يذكر قومهُ (من الطويل) :

ولكن لنا برُّ العراقِ وبحرُهُ ... وحيثُ ترى القرقورَ في الماءِ يسبحُ
اذا ابتدرَ الناسُ السِجالَ وجدتَنا ... لنا مِقدحا مجدٍ وللناس مِقدحُ (٧

---

١) شبَّهَ فعل الخمرة في العظام بحركات النمل في نقًا يتهيَّل اي في كثيبٍ من الرمل ينهار ويتحدَّر ٢) يقول شربنا الخمر فسكرنا وكان السكر اشبه بالموت . وذلك على سُنَّة العرب في الجاهليَّة اذ لم يبلغهم تحريم محمَّد للخمر . ويروى : خلا انَّنا في موتنا ليس نُلْحَدُ ٣) يريد خُمار الخمر ونشوتها اي دام فيهم ثلثة ايام الى ان تردَّدت اليهم بقيَّة حياةٍ فصحَوا منها ٤) يقول ان الحياة التي عادت الينا ليست كالحياة التي سيحيا بها البشر يوم القيامة اذ يُحشرون من قبورهم ٥) يريد انَّ تلك الحياة بقي فيها اثر سكرهم فوجدوا حولهم لمَّا صحَوا قوماً يعودونهم كمراض وقوماً يلومونهم لسكرهم ٦) شبَّهها في إنائها بالسيَّارة المرّيخ التي يضرب لونها الى الحُمرة ٧) اي اذا فاخرَنا الناس وجدوا سهمنا من المجد ضِعف سهمهم

وانَّا لَمَمْدودونَ ما بينَ مَنْبِجٍ   فَغافِ عُمانٍ فالحِمى لِيَ أفيحُ (١

ولهُ ايضاً (ص ١٧٨) في الفخر قولهُ (من الطويل):

واني لمِن عَلياءِ تَغلِبِ وائلٍ   لَأطولُها بيتاً وأثبتُها أصلا
انا الجُشَمِيُّ الرَّحبُ في الحيِّ منزِلًا   اذا احتلَّ مَضهودٌ بِمُضْنِيَةٍ هزلا (٢
وعمَّايَ نِعمَ المرءُ عمرٌو ومالكٌ   وثعلبةُ المُولي بِمَنظورةٍ فَضْلا (٣
وقد عَلِمت أفناءُ تغلب أنَّني   نُضارٌ ولم أنْبُتْ بِقَرقرةٍ أثْلا (٤
وأنّيَ يوماً لا مُضيعٌ ذِمارَها   ولا مُفْلِتي هاجٍ هجا تَغلباً بُطْلا

ومن فخرهِ (٢٤٩—٢٥٠) استقبالهُ للضيف في ليلةٍ شاتية (من الطويل):

ومُستَنْبِحٍ بعد الهُدوِّ دعوتُهُ   بِصَوتيَ فاستَعْشى بِنِضوٍ تَرَغَّما (٥
فجاءَ وقد بلَّت عليهِ ثيابَهُ   سحابةُ مُسْوَدٍّ من الليلِ أظلما
وفي ليلةٍ لا يَنبحُ الكلبُ ضيفَها   اذا نُبِّهَ المبلودُ فيها تَغَنْغما (٦
فلمَّا اضاءَتْهُ لنا النارُ وأصطَلى   اضاءَت هِجَفًّا مُوحِشاً قد تهشَّما (٧

---

١) اي نحكم على البلاد الممتدّة بين مدينة مَنبج الى الغاء. عمان وخصَّ عمان بالغاف وهي شجرة مُشوكة تكثر فيها . ثمّ قال ان حمانا أفيح اي اوسع واوفر

٢) المضهود الطريد المقهور . والمُضنِية المُصيبة المُنهكة للقوى . يقول اذا التجأ الى منزلي بئيسٌ وجد عندي منزلًا رحباً   ٣) جُشَم وعمرو ومالك وثعلبة كلهم من اجداد الاخطل في سلسلة نسبهِ الى تغلب .   ٤) افناء تغلب احياؤها. النُضار الشجر الصلب العود بخلاف الأثل اي شجرة الطرفاء يكون خشبُها خوَّارًا اذا نبت في قرقرة اي ارض ليّنة مطمئنّة   ٥) المستنبح الطارق ليلًا الصارخ ليستهدي بنبح الكلاب الى مكان الحيّ . والهدوّ اوَّل الليل اذ يهدأ الناس . واستعشى طلب موضع النار وهو مقبلٌ على ناقةٍ نِضو اي مهزولة لتعبها وهي تترغَّم اي تُردّد رغاءها ضعفاً

٦) وصف شدَّة تلك الليلة التي يجمد لبردها الكلب فلا ينبح واذا نُبّه النائم يَلَدَ في مكانهِ ولصق متغنغماً اي يُسمع صوتاً ضعيفاً   ٧) يقول لمّا انارت نارنا وجه ضيفنا وجدناهُ هجفًّا اي غليظاً جافياً . وموحشاً اي بائتاً في القفر مع الوحش

فنبَّهتُ سعدًا بعد نوم لطارقٍ　　اتانا ضئيلًا صوتُهُ حين سلَّما (١

فقلتُ لهم هاتوا ذخيرةَ مالكٍ　　وان كان قد لاقى لبوسًا ومَطعما (٢

فقال ألا لا تجشموها وانما　　تنحنحَ دونَ المُكرَعاتِ لِتُجشَما (٣

وانّي لحلّالٌ بيَ الحقُّ اتَّقي　　اذا نزلَ الاضيافُ ان أتجهَّما (٤

اذا لم تذُدْ ألبانُها عن لحومها　　حلَبنا لهم منها بأسيافنا دِما (٥

﴿المديح﴾ هي قصائد المديح التي قرَّبت الاخطل من الخلفاء. فرفعوا قدرهُ وخصُّوهُ بالطافهم. منها قصيدتهُ الرائيَّة في مدح عبد الملك بن مروان (ص ٩٨–١١٢) وفيها يقول (من البسيط):

الى امرئٍ لا تُعَدِّينا نَوافلُهُ (٦　　أظفرَهُ اللهُ فليهنأ لهُ الظفَرُ

الخائضِ الغَمرَ والميمونِ طائرُهُ　　خليفةِ اللهِ يُستَسقى بهِ المطَرُ

والهمُّ بعد نجيِّ النَّفسِ يبعثُهُ　　بالحزمِ والاصمعانِ القلبُ والحذَرُ (٧

والمستمرُّ بهِ امرُ الجميعِ فما　　يَغتَرُّهُ بعد توكيدٍ لهُ غَرَرُ (٨

وما الفراتُ اذا جاشَت حوالِبُهُ　　في حافتَيهِ وفي اوساطِهِ العُشَرُ (٩

١) سعد غلام الاخطل يدعوهُ لخدمة ضيفهِ الطارق ليلاً الخافت الصوت

٢) ذخيرة مالك اي ناقة اذَّخرها لابنهِ مالك . يُريد ان يُتحف بها ضيفَهُ

٣) يقول انَّ الضيف قال: لا تتكلَّفوا مثل هذه الضحيَّة لكنَّهُ تحنحَ اي ردَّ ذلك وامتنع ظاهرًا عن تضحية المُكرَعات وهي الابل وهو يرغبُ باطنًا بان تُنحَر له

٤) يقول اذا حلَّ بي الضيف وجب عليَّ حقُّهُ واحذر ان استقبلهُ بوجه عبوس

٥) اي اذا امتنعت الابل عن إدرار لبنها عقرناها ليشرب ضيفُنا دمها

٦) اي لا تفوتُنا هِباتهُ　　٧) اي اذا بعثَتْهُ نفسهُ الى امرٍ جليل اهتمَّ بهِ وساعدَه على القيام بهِ حزمُهُ وذكاء قلبهِ وفطنتهِ. والأصمع الذكيّ من كلّ شيء　　٨) اي انَّ الجميع ثابتون على ولائهِ. فلا تفاجئهُ بعد ذلك مَهلكةٌ. اغترَّهُ حلَّ بهِ بغتةً. والغَرَر الفاجعة

٩) حوالبهُ اي امواجهُ. ويروى: غواربُهُ. والعُشَر كبار شجر العضاه

جوادٌ اذا ما أَمحَلَ الناسُ مُمرِعٌ كريمٌ لِجَوعاتِ الشتاءِ قَتولُها (١
اذا نائباتُ الدهرِ شَقَّت عليهمِ كفاهم أذاها فاستُخِفَّ ثقيلُها (٢
يُهينُ وراءَ الحيِّ نفساً كريمةً لِكَبَّةِ موتٍ ليس يُودَى قتيلُها (٣
ويعلمُ انَّ المرءَ ليس بخالدٍ وانَّ منايا الناسِ يَسعى دليلُها
فإن عاش همَّامٌ لنا فهو رحمةٌ من الله لم تُنفَس علينا فُضولُها (٤
وان مات لم تَستبدلِ الارضُ مثلَهُ لأَخذِ نصيبٍ او لأَمرٍ يعولُها (٥

وللاخطل مديحٌ جليل في مَصقلة بن هُبَيرة الشيباني(١٤٣)قد ذكرهُ سابقاً حضرة الاب صالحاني في المشرق (١٤ [١٩١١] : ٨٣٨–٨٤١) ورجَّح نصرانيَّة مصقلة استنادًا الى ما رواهُ الطبري في تاريخهِ(١ : ٣٤٣٤–٣٤٣٨)ومنهُ قولهُ (من البسيط) :

دَعِ المُغَمَّرَ لا تسأَلْ بمَصرَعهِ واسأَل بمَصقَلَةَ البكريِّ ما فعلا (٦
بمُتلِفٍ ومُفيدٍ لا يَمُنُّ ولا تُهلِكُهُ النفسُ فيما فاتَهُ عَذَلا (٧
جَزْلِ العطاءِ واقوامٌ اذا سُئلوا يُعطونَ نَزْرًا كما تَستوكفُ الوَشَلا (٨
وفارسٍ غيرِ وَقّافٍ برايَتِهِ يومَ الكريهةِ حتى يُعمِلَ الأَسَلا (٩

١) أمحَل الناس أقحطوا. ومُمرِع ذو خصب ونعمة. وقتولها اي مُزيلها بعطائهِ
٢) شقَّت صعُبت. واستُخِفَّ اي وُجِد خفيفًا
٣) وراء الحيّ اي دونَهُ. والكبَّة الدفعة في القتال. واودى هلك. يقول انهُ يخاطرُ بحياتهِ في سبيل قومهِ ويعرّض بنفسهِ لميتةٍ تخلّد ذكر صاحبها ٤) اي عيشتهُ نعمة من الله لم يبخل الله علينا بفضلها ٥) لأمرٍ يعولُها اي حِسُّها . ويجوز يغولها اي يدهمها ويهلكها
٦) المغمَّر الذي فَضَلَهُ غيرهُ. اراد بهِ القعقاع الذهليّ. واسأل بهِ كاسأل عنهُ
٧) لا تُهلكهُ النفس اي لا تبكّتهُ ولا تلومهُ عن كثرة ما بذلَهُ جودًا وكرمًا
٨) استوكفهُ استقطرهُ. والوَشَل الماء القليل. شبَّه عطاء غيرهِ بالماء القليل وعطاء الممدوح بالوفرة والكثرة ٩) اي اذا نزل الى ميدان الوغى ونشر رايتهُ في يوم الحرب لا يزال يتقدَّم حتَّى يطعن العدوّ بأسلهِ اي رمحهِ

﴿الهجو﴾ كما امتاز الاخطل بالوصف والفخر والمديح كذلك صوَّب الى اعدائهِ سهام الهجاء · وقد رأيتَ في اخبارهِ انَّ القسيس والاسقف قد عاقباهُ على تعرُّضهِ لقذف الناس وانَّما هجاء الاخطل مع حدَّتهِ كان مع عفاف لا تكاد تجد لهُ بيتاً بذيّاً ماجناً اللهمَّ الَّا ما ندر على خلاف قِرنَيهِ جرير والفرزدق فانَّ ديوانهما مشحون بضروب الالفاظ البذيَّة والعبارات المستقبحة القذعة · فمن هجاء الاخطل قولهُ (ص ٣٠٥) لعشيرة زهير بن جُندَب (من الطويل) :

لَعمرُكَ انَّا من زُهَيرِ بن جُندَبٍ لَدانونَ لو أنَّ القرابةَ تَنفَعُ
فأمَّا إناءُ الخير منهم ففارغٌ وأمَّا اناءُ الشرّ منهم فمُترَعُ

ومثلهُ قولهُ في المسمَّى ابا مروان (ص ٣٠٤) يهجوهُ لبُخلهِ (من الطويل) :

كأنَّ ابا مَروان يُنزَعُ ضِرسُهُ اذا القومُ قالوا مَتِّعونا بدِرهَمِ

واوقعُ منهُ قولهُ في بني اسد (ص ٣١٥–٣١٧) وخصَّ منهم خنجراً (من الطويل) :

بنو أسدٍ رِجلانِ رِجلٌ تَذَبذَبَتْ ورِجلٌ اضاقَتها الينا التراتِرُ (١
فما الدينَ حاولتم ولكن دَعاكمُ الى الدينِ جوعٌ لا يُغَمِّضُ ساهرُ (٢
بني اسدٍ لا تذكروا الفخرَ بينكم فانتم لئامُ الناسِ بادٍ وحاضرُ
بني اسدٍ لا تذكروا المجدَ والعُلى فانَّكمُ في السوقِ كُذْبٌ فواجرُ (٣

وقال يخاطب خنجراً :

أخَنجرُ قد اخزَيتَ قومَكَ بالتي رَمَتكَ فُوَيقَ الحاجبَينِ السنابرُ (٤

---

١) تذبذبت اي تقلَّبت وذهبت الى غيرنا . والتراتر الشدائد

٢) كان بنو اسد بن خزيمة نصارى فأسلم بعضهم (اطلب كتابنا النصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة ص ١٢٦، ١٢٨، ١٤٩) ٣) كُذْب مخفَّف كُذُب جمع كَذُوب . ويروى : كذب ساهرُ ٤) يشير الى جُرح اصابهُ في جبينهِ في بعض المناوشات . رماهُ بهِ السنابر اي بنو امّ سَنْبَر من بني نصر بن قُعَين

فلو كنتَ ذا عِزٍ منعتَ ببعضهِ جبينَك أنْ تدمى عليهِ البصائرُ

فأبدِ لمن لاقيتَ وجهَكَ واعترِفْ بشنعاءَ للذِّبان فيها مصايرُ (١

أمِنْ عوزِ الأسماءِ سُمِّيتَ خنجرًا وشرُّ سلاحِ المسلمينَ الخناجرُ

ولو كنتَ ابصرت القنابلَ والقنا وهَبْوةَ يومٍ هيَّجَتْها الحوافرُ

برابيةِ الخابور ما أقرنْتَ لنا خُزَيمةُ اذ سارت جميعاً وعامِرُ

فما لك في حَيَّيْ خُزَيْمةَ من حصًى وما لك في قيس بن عَيلانَ ناصِرُ

﴿الاغراء﴾ للاخطل فيهِ اقوالٌ أحدُّ من السهام كفى منها مثلًا قولهُ (ص ١٠٥—١٠٦) للخليفة عبد الملك يحذّرهُ من زُفَر بن الحارث الكلابي احد زعماء ابن زُبَير في محاربة بني اميَّة فقال (من البسيط) :

بني أميَّةَ انّي ناصحٌ لكمُ فلا يَبيتنَّ فيكم آمناً زُفَرُ

واتَّخِذوهُ عدوًّا انَّ شاهِدَهُ وما تغَيَّبَ من اخلاقهِ دَعَرُ (٢

انَّ الضغينةَ تلقاها وان قَدُمتْ كالعَرِّ يكمُنُ حيناً ثمَّ ينتشرُ (٣

﴿النسيب﴾ وقد عرف الاخطل النسيب اللطيف فاجاد فيهِ كما في سواهُ قال (ص ٢١١—٢١٢) في مطلع قصيدتهِ التي مدح فيها عكرمة الفيّاض) (من الطويل) :

ألا يا اسْلَمي يا امَّ بِشرٍ على الهَجرِ وعن عَهدِكِ الماضي لهُ قِدَمُ الدهرِ

لياليَ نلهو بالشباب الذي خلا بمُرْتجّةِ الأردافِ طيّبةِ النَشرِ

---

١) المَصير المونع. يقول لا تستر تلك الشجَّة الشنيعة التي يتراكم عليها الذُّباب ويلزمها

٢) الدَّعَر الفساد اي انَّ خارجهُ كباطنهِ دغلٌ وفساد

٣) العَرّ الجَرَب. يريد انَّ ضغينة قلبهِ مهما كَمُنَت فانَّها ستفشو وتنتشر

أسيلةُ مَجرى الدمع خفّاقةُ الحَشا   من الهِيفِ مِبراقُ الترائبِ والنَّحرِ (١

وتَبسِمُ عن ألمى شَتيتٍ نباتُهُ   لذيذٍ اذا جادت بهِ واضحُ الثَّغرِ (٢

من الجازئاتِ الحُورِ مطلَبُ سِرِّها   كَبيضِ الأُنوقِ المستكنَّةِ في الوكرِ (٣

واني وايّاها اذا ما لقيتُها   لَكالماءِ من صَوبِ الغَمامةِ والخَمرِ

﴿الحِكَم﴾ ولا يخلو ديوان الاخطل من الاقوال الحكميَّة والامثال الصائبة كقولهِ (٢٥٨) (من الطويل) :

وانَّ امرءًا لا ينثني عن غَوايةٍ   اذا ما اشتهتها نفسهُ لَجَهولُ

وكقولهِ (الديوان ٥٥) (من الكامل) :

وصاحبِ صَبوةٍ صاحبتُ حيناً   فتُبتُ اليومَ من جَهلٍ وتابا

ونفسُ المرءِ ترصُدها المنايا   وتحدُرُ حولهُ حتى يُصابا

إذا أمرَتْ بهِ ألقت عليهِ   أحدَّ سلاحِها ظُفرًا ونابا

وأعلمُ أنني عمَّا قليلٍ   ستكسوني جنادلَ او ترابا

وقولهِ (٧٣) (من البسيط) :

اليومَ أُجهِدُ نفسي ما وَسِعتُ لكم   وهل تُكلَّفُ نفسٌ فوقَ ما تَسَعُ

وقولهِ (١٤٣) (من البسيط) :

وبينما المرءُ مغبوطٌ بمأمَنِهِ   اذ خانهُ الدهرُ عمَّا كان فانتقلا

---

١) الاسيلة الصقيلة الخدَّين. خفّاقة الحشا اي ضامرة الحشا. والهيف جمع هيفاء. والترائب جمع تريبة موضع القلادة ٢) اللَّما اللَّثة التي تضربُ الى السواد. اراد بالشتيت الاسنان غير المتراصة المتراكبة ٣) شبهها بالجازئات جمع جازئة وهي الظبية ووصفها بالعفاف والتحصن

وقوله (١٥٨) وهو مسك الختام (من الكامل) :

والناسُ هَمُّهُمُ الحياةُ ولا أرى طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خبالِ
واذا افتقرتَ الى الذخائرِ لم تجدْ ذُخرًا يكونُ كصالحِ الأعمالِ

فنكتفي بهذا القليل علّهُ يبعث في قلوب القرّاء الرغبة لدرس شعر الاخطل ومعرفة خواصهِ ولاسيّما انّ حضرة متولّي طبعه قد قرّبهُ منهم بتوفيرِ الاسباب لاقتباس منافعهِ الجمّة

(لها بقية)

منتخب الغافقي (١

ونصّ تعليقَيْن بآخرهِ في الفِرَق الاسلاميّة

لتوفيق افندي اسكاريوس بدار الكتب المصريّة

كتب حضرة المطّلع يوسف اليان افندي سركيس في مقتطف شهر مارس سنة ١٩٢١ مقالًا يُعلم القرّاء فيهِ بوجود نسخة مخطوطة قديمة من مختصَر للادوية المفردة جَمْع ابي جعفر احمد بن مشيد الغافقي الطبيب الاندلسي المتوفى سنة ٥٦٠ هجرية (١١٦٥م).

وقد ظهر ان للغافقي المذكور من المخطوطات في دور كتب اوربا (٢ ما يأتي :

١) راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (طبع مصر ٢ : ٥٢) وفي كتاب تراجم اطباء العرب لوستنفلد الالماني (WUESTENFELD : Arabische Aerzte (p. 176 ومن تاريخ الطب العربي لمسيو لوكلرك الفرنسي LE CLERC : Histoire de la Médecine arabe, II, 79

٢) اطلب الجزء الاول من تاريخ الاداب العربيّة لبروكلمان الالماني صفحة ٤٨٨ BROCKELMANN: Geschichte der arab. Litteratur, I,488

(اولاً) الادوية المفردة وهذا المخطوط المفقود هو الـذي كان اختصره الطبيب المشهور ابو الفرج بن العبري المعروف عند الافرنج باسم Abulfaragius واختير فيما بعد لأن يكون « مفرياناً على الشرق » (١ وتوفي لرحمته تعالى سنة ٦٨٥هـ(١٢٨٦م) والمختصر هذا هو المعنون بمنتخب الغافقي وجده سركيس افندي في تركة المرحوم اقلوديوس بك لبيب العالم القبطي بعين شمس بمصر واشتراه سعادة احمد تيمور باشا واذ لم تكن منه نسخة بدار الكتب المصرية طلبتُ منهُ نقل صورةٍ منها فتفضَّل باعارتها وقد تمَّ ذلك فاستحقَّ سعادته لفضله وافر الشكر . ودونك عنوان المخطوط : «منتخب الغافقي (٢ من الادوية المفردة انتخاب الاب غريغوريوس مفريان الشرق» اوله بعد البسملة : قال ابو جعفر احمد بن محمد بن احمد الغافقي . . . وهي نسخة مكتوبة بقلم عادي في اواخر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٤هـ (٣ فيها ١٤٦ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرًا وقد رُوجعت نسخة دار الكتب بالدقة على الاصل وحُفظت تحت نمرة ١٠٣٢

(ثانياً) رسالة في الحمّيات والاورام في عشرين ورقة محفوظة بمكتبة بودليانا باكسفورد (Bibliotheca Bodleiana I, 632)

(ثالثاً) رسالة في دفع المضارّ الكلية للأبدان الانسانيَّة (٤ وقد وقفتُ في آخر منتخب الغافقي المنسوخة في دار الكتب على صورة تعليقتين فاحببت ان انقلهما للقراء اتماماً للفائدة لان مقال حضرة اليان افندي سركيس لم يشر اليهما . قال رحمه الله :

---

١) اطلب ترجمة وتآليف ابي الفرج بن العبري للاب لويس شيخو المطبوعة سنة ١٨٩٨

٢) توجد نسخة اخرى مخطوطة من منتخب الغافقي في مكتبة غوتا ورد ذكرها في الجزء الرابع من فهرستها بصفحتي ٣٣-٣٤ تحت رقم ١٩٩٨ Gotha: arabische Handschriften, IV ويقول تعليقاً انهُ يوجد مختصر آخر غير مختصر الاب غريغوريوس ابن العبري انتخاب احمد بن علي بن ابراهيم ابن ابي جمهوري الاحسائي سماه الحكمة والرحمة في الطب في ٦٩٣ ورقة غير سبع ورقات للفهرس بقلم نسخ ومسطرة الصفحة ١٥ فرغ من كتابتها الناسخ لها جبرائيل بن يعقوب المعروف بالمنير الماروني الحلبي بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٦٩٤

٣) فهي اذن مكتوبة سنةً قبل وفاة ابن العبري

٤) يراجع الجزء الاول من فهرس اوكسفرد صحيفة ٦٣٢ نمره ٣,٢,١ باللاتينية وفيه التعريف الكافي الوافي

تعليق مبارك (في الفرق الاسلاميَّة)

«قد وقع في الاسلام اختلافات كثيرة كما وقع في غيره من الاديان بعضها في الاصول وهي موضوع علم الكلام وبعضها من الفروع وهي موضوع علم الفقه. والاختلافات في الاصول منحصرة في اربع قواعد: الاولى في الصفات والتوحيد. والثانية في القضاء والقدَر.. والثالثة في الوعد والوعيد. والرابعة في النبوة والإمامة. وكبار فرق الاصوليّين ستَّة: المعتزلة والصِفاتيَّة وهما متقابلتان تقابُل التضادّ. وكذلك القَدَريَّة تضادُّ الجبْريّة. والمُرجئة للوعيدة. والشيعة للخوارج. وتتشعَّب من كل فرقة اصناف فتصل الى ثلاث وتسعين فرقة

فصل في فرق الاصوليّين

• امّا «المعتزلة» فالذي يفرزهم من الاعتقاد القول بنفي الصفات القديمة عن ذات الباريْ تبرّناً من اقانيم النصارى فمنهم من قال انه عالِم بذاتهِ لا بعِلم وكذلك قادر وحيٌ. ومنهم من قال انهُ عالمٌ بعلمٍ هو ذاتُهُ وكذلك قادر وحيٌّ. فالاوَّل نفيُ الصفة رأساً والثاني اثبات صفةٍ هي بعينها ذات. واتَّفقوا على انَّ كلام الباريْ تعالى مُحدَث يخلقهِ من محلّ وهو حرفٌ وصوتٌ كُتِب امثالهُ في المصاحف. وبالجملة نفيُ الصفات مقتبَس من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته تعالى واحدة لا كثرة فيها موجبة

• ومن المُعتزلة احمد بن حائط زعم ان المسيح تدرَّع بالجسد الجسمانيّ وهو الكلمة القديمة المتجسّدة كما يقول النصارى. ومن المعتزلة عيسى الملقب بالمزدار بلغ بالقول بخَلق القرآن وان العرب كانوا قادرين على مثلهِ فصاحةً وبلاغةً لولا أن مُنعوا عن الاهتمام بمثلهِ

• وبازاء المعتزلة «الصِفاتيَّة» وهم ينسبون الى الله تعالى صفاتٍ ازليَّة من العلم والقدرة والحيوة وغيرها. وبلغ بعضهم في اثبات الصفات كالسمع والبصر والكلام الى حدّ التجسيم فقال لابد من إجراء الآيات الدالَّة عليها كالاستواء على العرش والخَلق باليد وغيرهما على ظاهرها من غير تعرُّض للتأويل. الّا انّ قوماً منهم كابي حسن الاشعريّ وغيره لمَّا باشروا علم الكلام منعوا التشبيه وصار ذلك مذهباً لاهل السُّنَّة والجماعة وانتقلت سِمة الصفات الى الاشعرية

• فاما «القدَريَّة» فهم معتزلة ايضاً فانما لُقبوا بالقَدَرية لنفيهم القدَر لا لإثباتهم

أياه فانهم يقولون ان العبد قادرٌ خالقٌ لأفعاله خيرِها وشرِّها مستحقٌ على ما يفعله ثواباً وعقاباً والرب تعالى منزّه عن ان يضاف اليه شرٌ وظلم وسمّوا هذا النمط عدلاً وحدُّوهُ بانه إصدار الفعل على وجه الصواب فالمصلحة بمقتضى العقل والحكمة

«وبازاء القَدَرية «الجبرية» الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ويقولون انّ الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان قدرةً متعلّقةً بذلك الفعل ولا تأثير لتلك القدرة في ذلك الفعل. ومنهم من يثبت للعبد قدرةً ذات تأثيرٍ ما في الفعل ويقولون ان الله مالكٌ في خلقه يفعل فيهم ما يشاء ولا يُسأل عمّا يفعل فلو أدخل الخلائق باجمعهم الى الجنّة لم يَكُن حَيفاً ولو أدخلهم باجمعهم النار لم يكن جَوْرا بل هو في كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرّف فيما يملكهُ المتصرّف به (١

«واَمّا «المُرجئة» فهم يقولون بإرجاء حُكم صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة اي يتأخر اليها فلا يقضون عليه بحكم في الدنيا من كونه ناجياً او هالكاً. ويقولون بانهُ لا يضرُّ مع الايمان معصيةٌ وكما لا ينفع مع الكفر ايمان(٢

«وبازاء المُرجئة «الوعيدة» القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار وان كان مؤمناً لكن يكون عقابه اخفّ من عقاب الكفّار

«واَمّا «الشيعة» فهم الذين شايعوا عليّ بن ابي طالب فقالوا بإمامته بعد النبي عليه الصلاة والسلام عليهم وان الامامة لا تخرج من اولاده ويجمعهم القول بثبوت عصمة الايمّة وجوباً عن الكبائر والصغائر وان الامامة ركن من اركان الدين لا يجوز للنبي اغفالُهُ ولا تفويضُهُ الى العامة

«ومن غُلاة الشيعة «النُّصَيرية» القائلون ان الله تعالى ظهر بصورة علي ونطق بلسانه مخبراً عمّا يتعلّق بباطن الاسرار وقوم غلَوا في حقّ ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الالهية

«وبازاء الشيعة «الخوارج» منهم من خطّأ عليّ بن ابي طالب فيما تصرّف فيه ومنهم من تخطّى عن تخطئته الى تكفيره. ومنهم من جوّز ان لا يكون في العالم

١) انّ هذا القول يجعل الله عزّ وجلّ ظالماً اذ يلقي بخلقه دون ذنبٍ منهم في عذابات الجحيم وحاشا الله ان يفعل ذلك (المشرق)

٢) الايمان الصحيح لا يقوم الّا بالعمل الصالح والطاعة لاوامر الله (المشرق)

إماماً اصلًا وان احتيج اليهِ فيجوز ان يكون عبدًا او حرًا او نبطيًا او قرشيًا اذا كان عادلًا فان عدل عن الحق وجب عزلهُ وقتلهُ . فهذا اقتصاص مذاهب الأصوليين على سبيل الاختصار

فصل في الفروعيين

امّا مذاهب «الفروعيين» المختلفين في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية فالمشهور منها اربعة : مذهب مالك بن انس ومذهب محمد بن إدريس الشافعي ومذهب احمد بن حنبل ومذهب ابي حنيفة النعمان بن ثابت

« «واركان الاجتهاد» ايضاً اربعة الكتاب والسنّة والإجماع والقياس وذلك لانه اذا وقعت حادثة شرعية من حلال وحرام فزعوا الى الاجتهاد وابتدأوا بكتاب الله تعالى فان وجدوا فيهِ نصاً تمسكوا بهِ والّا فزعوا الى سنّة النبي عليه السلام فان رأوا لهم في ذلك خبرًا نزلوا على حكمهِ والّا فزعوا الى اجماع الصحابة المعتنى بهِ لانهم راشدون لا يجتمعون على ضلالهِ فان عثروا بما يناسب مطابهم اجرَوا الحكم الحادث على مقتضاهُ والّا فزعوا الى القياس لان الحوادث والوقائع غير متناهية والنصوص متناهية فلا يتطابقان فعُلِمَ قطعاً ان القياس من واجب الاعتبار ليكون بصدد كل حادثة شرعية اجتهاد وقياس

« ومن الائمة داؤد الاصفهاني نفى القياس اصلًا وابو حنيفة شديد العناية بهِ وربما قدّم القياس الجليّ على آحاد الاخبار ومالكٌ والشافعيُ وابن حنبل لا يرجعون الى القياس الجليّ ولا الخفي ما وجدوا خبرًا او اثرًا وبينهم اختلافات في الاحكام ولهم فيها تصانيف وعليها مناظرات ولا يلزم بذلك تكفير ولا تضليل والله اعلم » اه بحروفه

تعليق مبارك (في ماني)

« في زمن اورلينوس قيصر عُرف ماني الثنوي وقد كان اولًا يُظهر النصرانية فصار قسيساً بالاهواز وكان يعلّم ويفسّر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين ثم مرقَ من الدين وسمّى اسمه مسيحاً واتخذ اثني عشر تلميذًا وارسلهم الى بلاد

المشرق بأسرها حتى الهند والصين وزرعوا فيها علم الثنويّة وهو ان للعالم الهين احدهما خير وهو معدن النور والآخر شرّ وهو معدن الظلمة وانهما تمازجا فانتصر الخير على الشرّ فانتقل الى جهة القبلة ليعمل لهُ هناك عالمًا يتسلّط عليهِ . فلما شرع وعمِل بنات نعش حول القطب الجنوبي كهذه الذي (التي) حول القطب الشمالي اصلحت الملائكة بينهما بان القى الخير شيئاً من نوره على الهيولي فأوجد عالمًا قابلًا للكون والفساد وتسلّط عليهِ الشرّ ولان الخير انما فعل ذلك مجبرًا ومكرهاً علّق في السماء سفينتين كبيرتين هما الشمس والقمر وصار يجمع فيهما انفس الناس ويسترجع نصفه الذي صار الى الشرّ ليجلو الهيولي رويدًا رويدًا من اثار الخير فيبطل سلطان الشرّ . وكان يقول بالتناسخ وانَّ في كل شيء روحاً منتسخة . وكان يفرط في تمجيد النار ويعظّم شأنها ويؤهلها للتقديس والتسبيح كل ذلك لنورها وإضاءتها وتوسّطها في المكان بين الفلكيّات والعنصريّات واهل الارض المنخفضة لكونها مظلمة لا يستضيء باطنها لا بالفعل ولا بالقوة

«وهذا المذهب قد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني لكن سدّدهُ بالحجج وقيل ان ملك الفرس قتل ماني وسلخ جلدهُ وحشاه تبناً وصلبه على سور المدينة لانه كان يدّعي الدعاوى العظام وعجز ابراءهُ (كذا) من مرض له والله اعلم» اه بحروفهِ

وكما استنسختْ دار الكتب المصريّة منتخب الغافقي للمفريان العالم الجليل غريغوريوس فانها تسعى لنقل مثيلهِ من مكتبة غوتا والمختصر الآخر ورسالتيهِ السابق ذكرهما بمكتبة البودليانا تصويرًا شمسيًا احياء لاهل العلم وذكرى لاولي الفضل

عاملٌ نشيط في كرم الربّ

الاب ادوار ميشال اليسوعي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ١٩ آب الماضي دعا الله الى ثواب الابرار احد ابناء الرهبانيّة اليسوعيّة الذي

خلّف في القطرين السوريّ والمصري ذكرًا طيبًا سيبقى مطبوعًا في قلوب كلّ من عرفهُ وعاين اعمالهُ نعني به الاب ادوار ميشال انتقل من هذه الحياة في مدينة القاهرة في الرابعة والستين من عمرهِ قضى منها في خدمة القريب ولاسيما الفقراء والاحداث نيفًا وثلثين سنةً . فكانت لوفاتهِ رنّة حزنٍ عميقة في صدور البائسين الذين تقاطروا الى إقرانه الوداع الاخير ومشوا في جنازتهِ آسفين مُعولين ومردّدين باصوات تُقاطعها الزفرات انّهم فقدوا سندهم واعزّ اصدقائهم

فتعزيةً لقلوب هؤلاء البائسين وصيانةً لذكر الرجل الصالح عوّلنا على تدوين خلاصة سيرتهِ وقد عرفهُ كاتب هذه الاسطر منذ نعومة اظفارهِ فأمكنهُ ان يختبر بنفسهِ ما خصَّهُ الله بهِ من المزايا الحسنة والخلال الطيّبة

١ الولد والدارس

أبصر المرحوم الاب ادوار ميشال النور في اللاذقيّة في ٧ تشرين الاوّل من السنة المشئومة ١٨٦٠ بينما كان نصارى دمشق ولبنان غائصين في بحر من الاحزان لما وقع فيها من المجازر والاعمال الهمجيّة . وكان ابو المولود فرنسويّ الاصل نزيل اللاذقيّة يتعاطى فيها الاعمال التجاريّة مع وطنهِ ويُعنى باستغلال املاك لهُ هناك . فاقترن بفتاة سوريّة رزقهُ الله منها ابنهُ هذا جامعًا لمزايا الفرنسويين والسوريين معًا . وقد دعاهُ ادوار باسم ملك انكلترَّة القديس اذ تمّت حفلة عمادهِ في ١٣ ت١ الواقع فيهِ عيد هذا الملك العظيم وذلك في كنيسة الآباء الفرنسيسيين في اللاذقيّة

نشأ الولد في حجر والديهِ وكان كلاهما من اهل التقى والصلاح فاخذ عنهما روح الورع وشواعر الدين وامتاز بنشاطهِ ومحبّتهِ لوالديهِ وحسن سلوكهِ بين احداث الجالية الفرنسويّة في اللاذقيّة كأسرتي جوفروا ولانوس . فلمّا بلغ الثامنة من عمرهِ اتى بهِ ابوهُ الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير سنة ١٨٦٨ فما لبث ان جذب اليهِ قلوب رفاقهِ بلطفهِ وتقاهُ وحبّهِ للرياضات البدنيّة التي برع فيها وكنّا حينئذٍ في صفّ الصغار معهُ فنذكرهُ اذ كان يتولّى تدبير الالعاب ونظامها فيتقدّم الجميع في مراعاة قوانينها وتحريك همم رفاقهِ على الفوز في سباقها . وفي غضون العام المذكور تقرّب للمناولة الاولى فأثّر فيهِ هذا السرّ تأثيرًا عجيبًا لم يبرح من ذهنهِ طول حياتهِ

وكان ادوار محبًا للفنون الجميلة ولاسيَّما الموسيقى فكان احد اعضاء الجوقة الموسيقيَّة ونزل الى بيروت مع رصفائهِ لمَّا وُضع الحجر الاوَّل لكليَّة القديس يوسف في اوائل سنة ١٨٧٣. امَّا الدروس فكان ادوار متوسّطاً فيها يجهد نفسهُ في تحصيل العلوم الثانويَّة فنال منها حاجتهُ حتى اتمَّها في السنة ١٨٧٨ في بيروت بعد ان نُقلت اليها مدرسة غزير في خريف سنة ١٨٧٥. وكان في كلّ مدَّة دروسهِ مثال التقوى والاجتهاد حتى وقع عليهِ غير مرَّة اختيار التلامذة رفاقهِ كرئيس للاخويَّة وكالمستحق لجائزة كمال حسن السلوك. وكان اذا رأى بين اترابهِ ولدًا مخالفًا للقوانين لا يخاف من تبكيتهِ ولمَّا وجد يومًا واحدًا منهم شكَّك رفقتهُ بعمل مخلّ للآداب صفعهُ بمجلس زاجرًا واستحقَّ بفعلهِ ثناء معلميهِ

وفي تلك الأثناء شعر ادوار بأنَّ الله يدعوهُ الى حياة الكمال فطلب ان يتفرَّغ للفكر في دعوتهِ فتحقَّق بعد الفحص المتوالي بأنَّ دعوتهُ ان ينتظم في سلك الرهبانيَّة اليسوعيَّة. وفي اوان العطلة السنويَّة عرض الامر على والديهِ فلم تتعرَّض لهُ والدتهُ لما كانت عليهِ من التُّقى امَّا والدهُ الذي كان يعوّل عليهِ لضبط اشغالهِ من بعدهِ فاستنكر الامر وأبى ان يسمح لهُ قبل ان يقضي سنةً في البيت ليختبر دعوتهُ ويعرف ما في عزمهِ من الصدق والثبات. لكنَّ الشاب في تلك المدَّة بيَّن بكل سلوكهِ انَّ فكرهُ بالترهُّب راسخٌ في صميم قلبهِ لا يثنيهِ شيء عن ادراك غايتهِ. فخاف ابوهُ وهو من رجال الصلاح ان يقاوم ارادة الله ولم يكتفِ بان يمنحهُ بركتهُ بل اراد كابراهيم الخليل ان يقدّم هو بنفسهِ ابنهُ محرقةً لعزَّتهِ تعالى فاتى بهِ في اوائل شهر تشرين الاوَّل سنة ١٨٧٩ دير غزير حيث كان فُتح حديثاً مقامٌ لطالبي الدخول في الرهبانيَّة اليسوعيَّة في سوريَّة

٢ الراهب

لبس ادوار ثوب المبتدئين في ٥ تشرين الاوَّل وباشر امتحانات الرهبانيَّة مدَّة سنتين فكان بغيرتهِ وحرصهِ على اتمام كلّ الفرائض الرهبانيَّة قدوةً لكل من يراهُ. واخذ مذ ذاك الحين يوطّن نفسهُ على كلّ الفضائل الرسوليَّة فكان مرَّةً في الاسبوع يتجوَّل في القرى المجاورة لغزير ليلقّن احداثها التعليم المسيحي ويُعدّهم للتقرُّب

الاوَّل من جسد الربّ . فكان الصغار ينتظرون وصولهُ بفروغ الصبر وهم أطوع لهُ من بنانهِ في كلّ ما يعرضهُ عليهم من اعمال التُقى

وفي السنة ١٨٨١ ابرز نذور الرهبانيَّة الأُولى ثمَّ انكبَّ مع رفاقهِ على الدروس البيانيَّة والبلاغة والخطب فتمرَّن عليها مدَّة سنتين واستقى من مواردها ما أهلهُ للخطابة وأصبح ذا عارضةٍ يفوه لسانهُ بما يطفح من قلبهِ ولا يبالي كثيراً بتزويق الكلام وترصيفهِ فيطلب اللبَّ دون القشرة

ثمَّ نزل الى بيروت فتفرَّغ فيها لدرس الفلسفة والرياضيَّات والطبيعيَّات ثلث سنين (١٨٨٣–١٨٨٥) . وفي ختامها أُرسل الى مصر فعُهدت اليهِ في السنة ١٨٨٥–١٨٨٦ نظارة التلاميذ في الاسكندريَّة ثم في القاهرة مدَّة سنتين ١٨٨٧–١٨٨٨ مع تدريس العربيَّة . فلا يزال الشبَّان الذين تخرَّجوا عليهِ يذكرون ما وجدوهُ فيهِ من الرفق وطيب الشمائل الممتزجة بالحزم والتثبُّت بتنفيذ القانون . وكان يحبّب الى الشبيبة الآداب الاجتماعيَّة ويسعى في تقوية ابدانهم بضروب الرياضات البدنيَّة مشياً وركضاً وطفراً ليصدّقوا في اشخاصهم تحديد الرجل الكامل : « عقلٌ سليم في جسم سليم » وكان جلّ اهتمامهِ ان يعزّز فيهم قوَّة الارادة ليناهضوا في قلوبهم الاهواء الباطلة ويثبتوا على الصلاح والتماس الغايات الشريفة

ولمَّا قرب أوان كهنوت الاب ميشال أُرسل في خريف سنة ١٨٨٨ الى بلاد الغال شمالي انكلترة في مدينة مُولد ليدرس هناك مع رهبان اقليمهِ الفرنسويين الملتجئين الى تلك الاصقاع بعد ان أُقفل جول فرّي ديورهم في فرنسة فتفرَّغ للدروس الكهنوتيَّة من لاهوت نظري وادبيّ وحقّ كنسيّ وشرح الاسفار المقدَّسة ودرس العبرانيَّة وقضى في ذلك ثلث سنين نال في نهايتها نعمة الكهنوت من يد احد اساقفة الانكليز الكاثوليك الطيب الذكر السيد نيت في ٨ ايلول سنة ١٨٩١ . وبها تمَّ استعداد ذاك الجندي الباسل ليخدم الدين والوطن في هذه البلاد ويتاجر بالوزنات التي أُعطيها من سيّدهِ

٣ رسول العَملة والصغار في بيروت

عاد الاب ادوار ميشال بعد كهنوتهِ الى بيروت وقلبهُ مضطرم بحبّ ذلك القائل

(لوقا ١٢ : ٤٩) : « اني جئت لأُلقي نارًا على الارض ومــاذا أُريد الّا اضطرامها».
فهي النار التي كان مستعرًا بها الكاهن الجديد لخلاص القريب · وكأنَّ الله اراد ان يقرِّب اليهِ مبتغاه · فلما احتلّ كليّتنا البيروتيَّة وجد فيها مرسلًا كان قضى خمساً وعشرين سنةً في خدمة العَمَلة الفقراء. نريد بهِ الاب يوحنَّا فيرروڤيش الــذي كان جمع شتات هؤلاء المساكين وانشأ لهم اخويَّة تحت اسم الامّ الحزينــة فكــان يهتمّ بنفوسهم وصوالحهم الزمنيَّة على قدر استطاعتهِ · الّا انَّ ثقل الشيخوخة كان يهظ عاتقهُ فكان يطلب لهُ مساعدًا في عملهِ هذا المبرور من ربّ المساكين ومساعد البائسين فوجد في الاب ميشال ضالَّتهُ المنشودة وهو في عزّ شبابهِ لا يطلب سوى تضحيــة نفسهِ في خدمة الفقراء والعَمَــلة · وسُرّ الرؤساء في وجود رجل مثلهِ للقيام بهــذا المشروع الجليل الذي تعدُّهُ الرهبانيَّة اليسوعيَّة من افضل اعمال ابنائها · فلم يخيِّب آمالهــم وثبت على خدمة هؤلاء الوضعاء عشرين سنة لم يبتعد عنهم الّا مدَّة قصيرة ليستعــدّ لابراز نذورهِ الاخيرة تحت ادارة رجل قدّيس يُدعى الاب جنياك في مدينة كاستر من اعمال فرنسة (١٨٩٦)

﴿اخويَّة الامّ الحزينة﴾ لا شيء يسند قلب العامل والفقير كروح الدين والتقى · فهذا ما حدا بالاب يوحنَّا فيروڤيش سنة ١٨٦٣ الى انشاء اخويَّة دعا اليها العملة وجعلها تحت حماية امّ الاحزان لتكون العذراء مريم مثال الصبر على اتعابهم · وقد بلَّغها بهمَّتهِ القعساء مبلغاً عظيماً حتى ناهز عدد المشتركين فيها الالفين · وقد مرَّ لنا في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ٣٢١–٣٣٥) ذكر اليوبيل الخمسيني لهذه الاخويَّة مع خلاصة حياة منشئها واعمالها · فهذه الاخويَّة عُني بها الاب ميشال اوَّلًا كساعد ثمَّ كمرشد من السنة ١٨٩٤ الى ١٩١٢ فكان يتقفَّى آثار سلفهِ في خدمة العَمَلة والفقراء يتفانى في امورهم الروحيَّة والجسديَّة · فما كان يُرى الّا على منابر الارشاد او في كراسيّ الاعتراف او في عيادة مرضى اخويَّتهِ · وكان في بعض فصول السنة يتفقَّد السجون فيدعو المحبوسين الى ممارسة واجباتهم الدينيَّة ويوزّع عليهم مع بعض رجال البرّ الصدقات والتذكارات التقويَّة · وكان يطوف القرى المجــاورة لبيروت ليبعث في القلوب الغيرة على خلاص النفوس وتهذيب الاولاد

وممَّا ساعدهُ على تنمية الاخويَّة وتعزيز شؤونهــا حفلات شائقة كان يقيمها في

الصلاح بالسلوك الحسن وتثقيف عقولهم بالآداب ثمّ الاهتمام باولاد الصنائع المهملين .
فقياماً بالغاية الاولى كان اعضاء الجمعيَّة يجتمعون كلّ احد فيتفاوضون بالمباحث الدينيَّة والادبيَّة والفنيَّة تحت ادارة مرشدهم ويتمرَّنون على الخطابة والتمثيل مع نجباء التلاميذ او يقيمون الحفلات العلنيَّة يحضرها ذوو الوجاهة والكرم فيوزّعون ريعها على ابناء السبيل . وكان لهذه الجمعيَّة عمدتها من كاهن مدير ورئيس ومعاونين ومستشارين وامين صندوق يجرون كلهم بنظام واتفاق

امَّا الغاية الثانية فادركها الاب ميشال بتأليف مشروع حماية اولاد الصنائع ﴿حماية الصَّنَعَة﴾ وجد الاب ميشال عدداً عديداً من صغار الفقراء ولاسيما اللبنانيين يتعاطون في بيروت الصنائع للدنيئة ويرتزقون بأعمال نزرة طفيفة ومعظمهم يجهلون القراءة والكتابة . ولا يعرفون من دينهم شيئاً فصرف كلّ مجهوده ليجتذبهم الى باحة الدار الواقعة في جوار كليَّة القديس يوسف ليروّحوا النفس بالالعاب ثمَّ يحضروا التعليم المسيحيّ ليستعدُّوا للمناولة الاولى ويتعلَّم كبارهم مبادئ القراءة والحساب . فكان هؤلاء الاولاد من سائر طلبة الصنائع من سكَّافين وحلّاقين وحدَّادين وباعة جرائد . كان الاب ميشال يجتمع بعلّميهم فيسلّمونهم الى حمايته

وممَّن توفَّق الى اكتساب ثقتهم صبّاغو الأحذية المنبثّون في شوارع البلد فضمَّهم الى الصَّنَعة واهتمَّ بتهذيبهم وتعليمهم . وكان في حفلة مناولة هؤلاء الصغار الاولى يكسوهم ثياباً جديدة كما انَّهُ مرَّتين في السنة كان يسحب لهم قرعةً على اقمشة واجواخ وملابس وادوات شتى مفيدة يربحها المثابرون على حضور الاجتماعات الاسبوعيَّة

وكان شبَّان جمعيَّة مار لويس يراقبون هؤلاء الصنعة ويفرغون وسعهم في تربيتهم . وكذلك اعضاء اخويَّات كليَّة القديس يوسف الداخليُّون كانوا يصرفون زمناً معهم لترويضهم في الالعاب وتثقيف آدابهم وكان الاكليريكيُّون منهم يلقّنونهم حقائق الدين

ومما يُذكر للاب ميشال فيُشكر بهِ توجيههُ الحاظ جمعيَّة الشبان لمقاومة الماسونيَّة فكان يمرّنهم على الخطب والابحاث الدينيَّة للدفاع عن العقائد المسيحيَّة ومقاومة الروح الكفري وقد تكلّلت اعمالهُ بالنجاح ودبَّت الغيرة التقويَّة في قلوب شبَّان الجمعيَّة فاصبحوا يستميتون في سبيل الدفاع عن الدين ولذلك تجمهروا في شهر آذار

سنة ١٩١١ ليلة حاول ابناء الارملة ان يمثلوا رواية اليهوديّ التائه وانضمّوا الى من حذا حذوهم وارقفوا تمثيل الرواية محتجّين على الجوق الممثِّل وعلى الحكومة التركيَّة المؤذنة بالتمثيل . وقد استيق بعضهم الى السجن بامر الحكومة فلم يُحجموا عن الدفاع بل ازدادوا تحمُّساً فاضطرَّت السلطة الى اخلاء سبيلهم وعُدَّ عملهم ظفرًا في جانب الدين والادب

﴿السجود الليلي﴾ هذا السجود كان عُني بإقامته الاب فيرروڤيش مع رئيس كلّيتنا الاب جوليان هنري سنة ١٨٨٣ فيُعرض القربان الاقدس في كنيسة الكلّيَّة ويسجد لهُ بالتناوب اربعون ساجدًا في مساء ليلة الخميس الى الجمعة الاولى من الشهر تكفيرًا عن الاهانات اللاحقة بقلب يسوع الاقدس. فاستلم الاب ميشال هذا المشروع الصالح وزادهُ نموًّا وكان هو يصرف جانباً من ليلهِ في مشاركة الساجدين واستماع اعترافاتهم . وكان يسعى طاقة جهدهِ في نشر عبادة قلب يسوع ويحرّض على التقرُّب المتواتر من مائدة الخلاص

﴿ اعمال شتّى ﴾ وما كانت كل هذه الاعمال لتنفد همّة الاب ميشال فانَّهُ لم يعاين مشروعاً صالحاً يسدُّ بهِ خللًا الّا تولّاهُ . فمن ذلك جمعيّتان وسمها باسم القديس فرنسيس كسفاريوس والقديس يوحنا بركمنس انشأهما بين كبار التلامذة وافضلهم سلوكاً لينشر بواسطتهم بين الصغار روح التقوى ويُعدّهم بتعليم المبتدئين والمشروعات التقويّة والادبيَّة لجهاد الحياة عند نهاية دروسهم

ومن منشآتهِ تخصيصهُ في كنيسة الشيّاح باذن كهنتها مذبحاً لاكرام رسول الهند القديس فرنسيس كسفاريوس جعلهُ مزارًا لتلك البلدة وكان يوم عيدهِ في ٣ ك ١ يقيم لهُ حفلةً كبيرة كان اهل البلدة يحضرونها بكل رغبة ويتقرَّبون فيها للاسرار المقدَّسة وقد بارك الله عبادتهم بان منحهم عدَّة نِعَم على يد ذلك القديس سواء كان قبل الحرب ام في اثنائها

وكان آخر ما اهتمّ بانشائهِ مدرسة للصنائع خصَّها بتعليم ابناء الفقراء الحرف المختلفة ليفتح لهم باباً للارتزاق ويصونهم من مفاسد الاسواق فاذارها بواسطة بعض المعلّمين مدَّة اربع سنوات الى أن وجد لهُ الرؤساء خلفاً جديرًا بمواصلة اعمالهِ وارسلوهُ الى مصر حيث كان اهلها في شديد الحاجة الى مثلهِ

٥ الاب ميشال في مصر

وفي السنة الاولى من وصولهِ الى وادي النيل سنة ١٩١٢ أُرسل الى ديرنا في المنيا كخلَف المرحوم الاب حبيب المعوشي في الاشغال الرسولية. فنيطت بهِ الرياضات للكهنة والمواعظ الاسبوعيَّة وتوزيع الاسرار وتدبير جماعة الشبان التي جعلها على مثال جماعتهِ البيروتيَّة . وكان يزور مدارس الصعيد ويلقي الارشادات في كنائس القرى ويجتمع بالاقباط المنفصلين ليرشدهم الى حقائق الدين الكاثوليكي فردَّ عدداً منهم الى ايمان رسولهم القديس مرقس وكبير مُلَّميهم القديس اثناسيوس البطريرك الاسكندريّ العظيم

وبعد تلك السنة استدعاهُ رئيس مدرستنا في القاهرة ليدير فيها الاخويَّات والمشروعات الخيريَّة التي كان الطيّب الذكر الاب جبرائيل اذه ادارها بكل غيرة ودراية. فتسلَّمها بكل فرح وباشرها بما عُهد فيهِ من النشاط والتفاني

فمن لنا ان نصف ما قام بهِ من الاعمال الجليلة في العشر السنوات التي قضاها في عاصمة المصريين. فكان يقوم باكرًا بعد ست ساعات فقط من النوم فيُسرع الى اتمام كلّ واجباتهِ الرهبانيَّة والكهنوتيَّة حتى اذا انجزها يتفرَّغ الى اشغالهِ المتعدِّدة فكان متوليًا تدبير ثلث اخويَّات للرجال والنساء والفتيات فيعظ مرارًا في الاسبوع ويجلس الساعات الطوال في كرسيّ التوبة ويشرح التعليم المسيحيّ لخدمة الدير. وكان بقيَّة نهارهِ يقضيهِ في عيادة المرضى وزيارة الفقراء والمتستّرين فيوزّع عليهم ما حصلت يدهُ من الاحسانات والصدقات فلا يكاد يجد ساعةً للراحة. وقد ثبت على خطَّتهِ هذه الى آخر حياتهِ مع ما كان يجد في مسيرهِ في شوارع القاهرة من التعب والضنك ولاسيما بعد ضعف مزاجهِ وثقل السنين والاشغال على كاهلهِ فكان مهما شعر بهِ من المشقَّة لا يتأخر عن طلبة محتاج الى خدمتهِ او مريض يطلب اسعافهُ ولو في ساعات الليل

وكان الرؤساء في اوان الصيف يعرضون على الاب ميشال ان يأخذ نصيباً من الراحة ويهرب من لفحات الحرّ المضنك الى السواحل او الى لبنان فكان يجيب: وكيف أُهمل كلّ هؤلاء المساكين دون اسعاف روحي وجسدي. فكانت نتيجة تلك الاشغال المفرطة أن أُصيب في العشر الاخير من آب الماضي بوعكة ثقيلة لم تمهلهُ الّا

بضعة أيام فعرف انَّ اجلَهُ قد قرب فـاقتبل الاسرار المقـدَّسة بكل ورع وتُقى واستعدَّ لمواجهة ربّ العملة الذي فلح كرْمَهُ بكل حرص ولم يبالِ بما حمل من ثقـل النهار وحرِّهِ (متى ٢٠ : ١٢) فودَّع الحياة وهو واثق بجود الاله الـذي خدمهُ مدَّة نيّف واربعين سنةً. ولا شكَّ في انَّ ربَّهُ الكريم اجزل ثوابهُ في دار الخلود

ولم يـكتفِ الذين خدمهم الاب ميشال بالاسف على فقدهِ وانَّمـا ارادوا ايضاً ان يعقدوا لهُ جلسةً تأبينيَّة في بيروت ومصر ردَّدوا في اثنائها محامد ذلـك الرجل الهمام وعظَّموا المصاب بموتهِ شاكرين لهُ مآثرهُ الجمَّة وحسناتهِ المتعدّدة. وقـد حضرنا الحفلة التي اقامتها جميَّة شبَّان مار لويس غونزاغـا بناديها في مُمثّل مدرسة الـدحداح رأسها حضرة الاب ديد رئيس الرسالة اليسوعيَّـة في سوريَّة وخلَفُ الاب ميشال في ادارة اشغالهِ بعد سفرهِ الى مصر فوفوا الفقيد حقَّهُ من الثناء نثرًا ونظماً. وكذلـك وقفنا على الخطب التي فاه بها اصحاب الجلسة المصريَّة فوجدناها كلَّها تُشعر بما اختبروه من سجايا الاب المرحوم وتأثيرِ وفاتهِ في قلوبهم فلن ينسوا. فضلهُ عليهم طالما امدَّ الله في أجلهم. وها نحن نقتطف من جلستي بيروت ومصر بعض ما جادت بهِ قريحة اثنين من اعضائها ولولا ضيق المقام لنشرنا كلّ خطبهم فنستميح منهم عذرًا لضربنا الصفح عنها

قال الاستاذ الاديب يوسف افنـدي الغلبوني يرثيهِ بقصيـدة عامرة الابيات افتتحها بقولهِ :

ادوارُ ميشالُ نَمْ في القبر مختارا — رقـاك ربُّك بعـد الفوز أخـدارا
نَمْ في الخلود فقـد خلَّدتَ مُتَّجهاً — نحو المهيمن بالأعمـال آثـارا
بيروت تبكي وفي مصرٍ صدى اسفٍ — يُجري مع النيلِ دمعَ العين مـدرارا
ادوارُ ميشال لن ننساك طول مدًى — وان نسينا نكُنْ بالفضـل كفَّارا
قد كُنتَ قلباً لصدرٍ يرتجي فرَجاً — وكنت عونًا لدى الضيقات نصَّارا

وختمها بقولهِ :

حيُّوا الفقيد بإخبـاتٍ وتكرمةٍ — حيُّوا رئيسكمُ المحبوبَ إدوارا

وقال جناب يوسف افندي راجي سكرتير اخويَّة الحبل بلا دنس بمدرسة الآباء اليسوعيين في مصر :

« سادتي واخواني الاعزاء : اليوم اقفُ خاشع الرأس امـام جلال الموت ، اندبُ تلـك الهمَّة العالية وقد ذبلت ، وذاك الصوت العالي وقد صمت ،

لقد جاءني النذير بالخطب، فأتيت مسرعاً لأودعه الوداع الاخير باسم بدوه الطاهرة التي طالما باركتني وباركتكم، واشارت الى الطريق القويم أن: اتبعوه. فبدّتني وهدتكم، ثم عاودتني ذكرى ثلاث عشرة سنة متوالية، لازمته في خلالها، فما رأيته يوماً تطرّق اليه الملل، او شكا من كثرة العمل، بل لا اكون مغالياً ان قلتُ بأن الفقيد لم يبالِ بجسدهِ بل انهكهُ في سبيل الله ومرضاته قبل ان عاجلهُ الموت،

«أجل أنهكهُ واماتهُ في سبيل نشر تعاليم السيّد المسيح الحقّة، اماتهُ في سبيل إحياء الاخويّات، والجمعيات، والحفلات الدينيّة المديدة، وفي سبيل البرّ والاحسان. فصدقت فيه تلك الكلمة الخالدة. مات في الجسد ليحيا في الروح، انّ الارواح الصالحة لا تموت

بدأ الفقيد حياتهُ بيننا، يواصل الليل بالنهار، لإحياء الاخويّات التي اخذ على عاتقهِ ارشاد ابنائها، فهي وان كانت زاهيةً بفضل من تقدّموه لكن الجهاد الذي جاهدهُ انمى فروعها فازدهت ورواها بعرق جبينهِ فنمت، فما كان عجباً ما رأيناهُ يوم مشهدهِ اذ هرع المئات يشيّعونهُ بقلوبهم ودموعهم وزفراتهم . . .

«رأيت النساء والشيوخ يبكونهُ بكاء الاطفال، رأيتُ النساء والفتيات يذرفن عليه الدموع كأنهنّ فقدنَ عزيزاً لديهنّ، هل أعزّ من هذا الراحل الكريم على قلوبنا، جنديّ من جنود الكنيسة فقدناهُ بعد ان استبسلَ في الدفاع عنها خمسةً واربعين عاماً، فوجب علينا رثاؤهُ، كما حقّ علينا بالامس بكاؤهُ . . .

نمْ هادئاً في بقعة قدّسها المسيح بزيارتهِ والعذراء بطهارتها والقديس يوسف ببرارتهِ. (يريد مقبرة بستان المطرّية)، نمْ هادئاً مستريحاً، انت احسنتَ في الحياة الينا، احسنَ الله في الممات اليك،

ليلة الميلاد الاولى

عرّبها بتصرّف حضرة الخوري مارون غصن استاذ الخطابة في كليّتنا

في تلك الايام صدر امرٌ من الامبراطور أوغسطس قيصر باحصاء جميع رعاياه. فانطلق الجميع كلٌّ واحدٍ الى مدينتهِ

وتعيّن ضابطان لمراقبة الاحصاء، في بيت لحم وللسهر على حفظ الأمن. أحدهما يدعى تُركواتُس، من مذهب أبيقور المعروف باتّباع الشهوات، وعمرهُ نحو خمسين سنة. والآخر يُسمّى أكتافيوس، وعمرهُ نحو ثلاثين سنة. وكان هذا جليل المنظر،

قليل الكلام، لا يكاد يُجيب على احاديث رفيقهِ الّا بكلمة او كلمتين. وكان ،طول هذا السفر،يتأمل في فيافي اورشليم ، وهيئتهُ تدلُّ على انه يفكّر في حلِّ مشكل اعتاص عليهِ

في ذلك الحين ،كانت العيلة المقدسة قد جازت المضايق الممتدّة عند سفح جبل صهيون، وقطعت وادي قدرون، وتركت وراءها مدينة اورشليم

نادى تركواتس رجلين من الخفراء السائرين معه، وامرهما بان يتقدّما الى بيت لحم، ويعدّا جميع ما يلزم لراحتهم

وكانت العيلة المقدسة اذ ذاك قد وصلت الى ارض الرامة، التي اشتهرت ببكاء راحيل على بنيها، والليل قد نشر ظلامه، فبدت تلك النواحي اوفر خشوعاً منها في غير ذلك الوقت. من الضابطان بقبر راحيل، فتقدّم الخفراء اليهود ليتبرّكوا بلثم الضريح. فانتهرهم تركواتس وامرهم بالرجوع وقال: « ما أعجب امر هؤلاء اليهود! وما اعظم اوهامهم! فأيُّ خرافة اكبرُ من وهمهم بانهم يُرضون الآلهة اذا قدّموا لها التّقادِم والذبائح! »

والتفت الى إكتاثيوس وقال: « هل انال الحظوة لديك، ايها الفيلسوف العزيز، واحصل على جواب، وهل اصبتُ فيما قلت؟ »

اجابه اكتاثيوس: « لا! بل قد اخطأتَ كل الخطإ. فانا لست على رأيك »

قال تركواتس: « قد تأكّد لي الآن انك لا تُريد الّا مخالفتي في الرأي، او ملازمة الصمت. وانا لا إخالك اوفر عبادةً من غيرك. فاني، منذ عرفتُك في خدمة قيصر، لم أرك قدّمت للآلهة ولو عصفوراً »

اجاب اكتاثيوس: « ذلك من شُؤم حظي، يا تركواتس. ولكن كيف تحسب ان لا نفع للذبائح الّا في مخيّلة بعض الناس، ونحن نرى جميع البشر يُقبلون على هذه العبادة؟ . . . لا! لا! فانّ الانسان الخاطئ قد شعر ان لا بدّ لهُ من استرضاء عدل السماء. لذلك نراه، اينما وُجد، يلتمس ذبيحة، ويودُّ ان تكون افضل منه، فتصير جديرة بعطف قلب الآلهة عليه »

اجاب تركواتس، وهو يُجهد نفسه ليضحك: « أنا مُقرّ بأن ليس لي ذكاؤك. ومهما يكن فلنترك هذه الاوهام، ولنفكّر في ما يجب علينا صنعهُ غداً. امّا الآن فاودّ

منك ان تُطلعني على معنى اسم بيت لحم. فانّ كلَّ اسم في لغة هؤلاء اليهود لهُ معنى شعريّ، وانا اجد في اكتشافه لذّة وتسلية». والتفت الى الخفراء ونادى: «يا أرام! تقدّمْ وقل لي ما معنى اسم هذه البلــدة الحقيرة؟». واقبل على اكتاثيوس وقــال ضاحكاً: «ستري ان مدينة اثينة لا تُعدُّ بالقياس الى هذه البلدة شيئاً»

فــأسرع ارام الى قرب فرس تركواتس، وقــال بصوت أخنّ: «بيت لحم، يا مولاي، معناها بيت الخبز»

قال: «وبعد؟»

قال: «وإنّ في هذا الاسم رمزاً الى أنّ بيت لحم ستقوت شعوب الارض كلها»

قال: «وبعد؟»

قال: «وان بيت لحم تدعى ايضاً أفراتة، اي الخصيبــة والمثمرة. وهي من نصيب يهوذا. وكان الاقدمون يسمّونها مدينة داوُد، لانّ نبيّ الله هذا قد وُلد بها»

قال تركواتس: «داود هذا كان احد ملوككم؟»

قال ارام: «نعم، يا سيّدي. وانّ الربّانيين عنــدنا يقولون ان داود الحقيقي، وملك الارض كلّها، سيولد هنا. وقد وعده الله بان تكون جميع الامم ميراثاً لهُ»

قال تركواتس: «ومتى يولد داود الحقيقي هذا؟»

قال، ووضع يدهُ على حاجبهِ ليستوضح شيئاً رآهُ في الظلام

اجاب أرام: «انّ حساب اسابيع دانيال يدلُّ على قرب مجيئه»...

قال تركواتس لاكتاثيوس: «مَن الماشي امام الخيل؟» فرفع اكتــاثيوس رأسهُ ونظر فقال: «ارى رجلًا مسكيناً وامرأة يسيران رويداً وبعد بضع خطوات تُدركهما»

قال تركواتس: «لعلّ هذه المرأة هي امّ مسيحك؟»

فانتفض أرام الشيخ لهذه الكلمة الملفوظة بتهكُّم، وقال بصوت تُمازجهُ عواطف الايمان والوطنيّة: «قد يكون ذلك!»

واعاد اكتاثيوس كلمة ارام بصوت منخفض وقال: «قد يكون ذلــك!» وشعر ان قلبهُ قد اضطرب اضطراباً غريباً. ولحق هو ورفيقهُ ذينك المسافرَين. فنادى تركواتس: «من انت يا رجل؟»

فالتفت المنادى، واذا وجهٌ يقطر رقّةً ولطفاً، وأجاب بالعبرانيّة. ففهم الجواب اكتاڤيوس وحده، فقال لتركواتس: «يقول لك الرجل انهُ يُدعى يوسف، وانهُ ماضٍ مع امرأته الى بيت لحم إطاعةً لامر قيصر»

قال تركواتس: «وما اسم المرأة؟»

فكلّم اكتاڤيوس الرجل وقال: «يسألك الضابط عن اسم هذه المرأة التي تظهر ابنتك لا زوجتك؟»

اجاب الرجل بالعبرانية. وترجم اكتاڤيوس الكلام لتركواتس وقال: «اسمها مريم»

وعند ذلك تحرّكت الخيل وفصلت بين الغريبين. فبقي يوسف قرب تركواتس، فاخذ هذا يُلقي عليهِ اسئلةً كلُّها بلادة وحُمق. امّا اكتاڤيوس فأحسَّ بانّ قلبهُ يتصدّع، وظهر الاضطراب في وجههِ، واخذتهُ عواطف لم يتمكّن من ابعادها عنهُ. فقال في نفسهِ: «تُرى، هل تتحقّق احلامي؟..» ولبث يفكّر في تلك التقاليد التي شغلت عقله منذ حين، وهي تدلّ على ان قد دنا الزمان الذي يُخصب فيهِ الشرق خصباً جديداً، ويتولّى قيادة العالم أجمع... واستمرّ حيناً يتأمّل في ذلك ويقول: «أحقيقيّةٌ تلك التقاليد؟..» وهل يتخلّص البشر من التسكّع في الظلام؟... وهل يأتي إلهٌ الى الارض، ويحمل الينا كنوز الحقائق؟..»

ثم التفت الى المرأة وكلّمها بالعبرانية بصوتٍ مخفوض هادئ وقال: «انتِ، يا من تُدعَين مريم، لستُ ادري ما يحملني على استفهامكِ عن سرّ ما قُدّر لي. فيا بنت اليهود، قد قرأتِ كتب انبيائك، وها انا بين يأسي ورجائهم. فاذا كان عندك كلمةٌ تنيرين بها عقلي، فلا تبخلي بها عليّ»

فلم ترفض الفتاة سؤال الروماني. فالتفتت وجعلت نظر اكتاڤيوس يقع على وجهها... فظهر لها وجهٌ يعجز كلُّ لسانٍ عن وصف بهائهِ الملكي. وقالت بصوت لطيف خاشع: «طوبى للنقيّة قلوبهم فانهم يعاينون الله!»

بعد هذا لم يعد اكتاڤيوس يسمع شيئاً. ولم يشعر الّا وهو بغرفة في احد فنادق بيت لحم، وهو منحنٍ على مرفع (طاولة) ورأسهُ بين يديهِ... ثمّ انتصب فجأةً وخُيّل اليهِ انّ نوراً عجيباً قشع الظلام. فاسرع الى سطح يُطلّ على البريّة المجاورة،

فشاهدها تتألق ضياء، واحس بان صمت ذلك الليل الهادئ قد انقطع، واذا انغام بعيدة تحمل اليه هذه العبارة العذبة المؤثرة: «السلام لبني البشر ذوي الارادة الصالحة!»

...

من ذاك الحين، لم يعد اكتافيوس يبحث، بل صار يؤمن ويحب. وذلك السلام الالهي لم يفارقه اصلاً. وما مر على ذلك الاحصاء شهران حتى مات... وآخر كلمة لفظها هي اسم تلك التي صادفها قرب بيت لحم. ففاضت نفسه وهو يقول: «مريم!»

وبحثوا في مذكرات هذا الروماني الشاب، فوجدوا أنها انتهت في ٢٥ كانون الثاني وقد ختمت بهذه الكلمات: «طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله!» ووجدوا في ذيل هذه الكلمات اسم تلك التي قدست شفتيه عند ساعة موته، ألا وهو اسم «مريم»

(عن رسالة قلب يسوع)

خطة حديثة لتهذيب الناشئة

لحضرة الاب يوسف مناسا اليسوعي

للانسان خواطر تجيش في صدره وافكار تتضارب في رأسه، ان هو فسح لها حملته الى اقاصي حدود الشطط، وقذفت به الى مواطن التهوس. شأن امرأة تطرفت بهواجسها مؤخراً وشردت بتصوراتها. ويا حبذا لو وقفت دون ذاك الحد، بل راق لها ان تخطو خطوة الى ان تجاهر بتلك المبادئ. فرغبت الى جلة شبيبتنا ان تنكب بهم عن محجة مقاليد اجدادنا، وتحيد عن افكار قررتها العصور السوالف. وكان أن لحسن طالعها، مدت اليها الظروف يد الاعانة

حظيت تلك السيدة باقتراح رفعهُ اليها نادي شبيبة زاهرة في احدى مدننا

العظمى. فلبّت دعوتهُ عن طواعيةٍ وارتياح... أمّت ذات ليلة قاعةً رحبة تألبَ اليها الشبان من كل صوب فغصّ بهم المكان. وما كانت الّا هنيهة حتى نهضت الخطيبة من صفوف الحاضرين، تتهادى تحت وِقر افكارها... ثم تسلّقت درج المرسح، واستهلّت خطابها بصوت جهوري ينبعث من صدر قوي موقن بمتانة الحجّة، واثق بصحة الدعوى....

وخطيبتنا من ذوات الحنكة وربّات الافكار... ممن يُستشفى برأيهن ويُرجع اليهن فيما يهم من الابحاث!... قالت «انها نظرت مليًا في تثقيف الناشئة فشقّ عليها منظر ذاك النهج المألوف، الذي يسلكهُ الوف مؤلفة من الاساتذة وتلامذتهم على غير دراية... فما اجدرَنا، معشر الحضارة وارباب الغيرة الملتهبة، ان نعدل عنه جريًا على سُنَن التقدّم والارتقاء، وخوفًا على احداثنا اليوم ورجالنا الغد من التورّط في الجهالة...»

اياك والعجب يا هذا... فلو ابديت الدهش من مثل تلك التصريحات نسبوك الى غباوة رأي وخُرق عقل... امّا الحَبر اللبيب على رأي السيدة المصلحة فكلما دقّق وامعن في ادارة مدارسنا، زاده ذاك المشهد اسفًا... هناك امور يكاد لا يؤسى كَلْمُها ولا تُسَدُّ ثُلمتها... الّا بتقويض صَرح تلك المعاهد، وتشييد غيرها على انقاضها، ولولا ذلك لحَمَلَنا تيار الامور الى وخيم العاقبة

واليك، ايها القارئ اللبيب، شيئًا ممّا قالته الخطيبة في صدد ذاك الأوَد: «قد سمعتُ الاباء يتأوّهون، بل شاهدت الأمهات يذرفن الدموع مدرارًا على ما لحق اولادهم من الأسقام والعلل، ناهيك بالاسباب: هناك بين جدران ساحة يقضي الشابّ معظم وقتهِ في الجهد الجهيد ليتلقّن علومًا عديدة، ويتدرّب على فنونها بالتمارين الشاقّة، من نموذجات يضطرّ بالكد الى ان يودعها ذاكرته يوميًا...، ومن فروض يُكرَهُ على إنجازها... ثم مراعاة السكوت، ثم المآكل الشظفة، ثم الفحوص وما تقتضيه من التعب والقلق والخوف والحزن، والى غير ذلك ممّا يكدّر على تلك الشبيبة الغضّة صفاء عيشها، ويذهب بنضارتها، الى الامراض التي لا تُعالَج، والكآبة التي لا تُكشف!... واهًا لشبيبتنا احدقت بها المحن من كل جانب!... ويا لها من مدارس حاكت بل فاقت السجن الاسود القاتم والاشغال الشاقة!....

• ولو قابلت بين خير تلك المعاهد ونفعها . وقارنت بين شرورها وخيراتها لتعذّر عليك ترجيح الثانية على الاولى . فكم وكم يجهد التلميذ خاطره ، ويفرغ الآباء اكياسهم وراء تلك الضالّة المنشودة ! . واي ضالّة ! ليتها تُجدي ولو فتيلًا ! ليتها تفيد ولو ذرّة ! لاسيما حين ولوج الشاب معرك الحياة . . لعمري ماذا تجدي آنئذٍ الرياضات العليا ؟ ماذا تجدي ادبيات اللغة . وفنّ الخطابة ؟ . ماذا يُجدي العروض والفلسفة ؟ ماذا تجدي سوى التشدّق والتفلسف والتعجرف ؟ فذلك لمّا يحمل المرء على نبذ البساطة والسذاجة ، ويبعثه على التخلّق بصفات تُقصيه عن ذويه ! . . . »

هذا ما صرّحت به الخطيبة وبما انها من ذوات الفكر اللواتي لا يرمُقنَ الامور الّا من وجهتها العمليّة ، أحبّت ان تشفع وصف الداء باقتراح الدواء . فارتأت ان التلاميذ لو أُطلق لهم العنان وفُسح لهم في تدريسهم وفقاً لاميالهم ، لترتّب على ذلك فوائد جزيلة . لان سيرهم هذا من تلقاء انفسهم ، يؤدّي بهم الى درجة شائقة من الرقي والتهذيب ، وربما برعوا فيهما وبرّزوا . . ولا عجب : أفليس في قلوب هؤلاء الاحداث قوى أبتْ الّا النموّ والازدهار ؟ فأنّى البلوغ اليها لو تصدّى الاساتذة للناشئة يضغطونها تحت تعاليمهم الباهظة ، ويقسرونها بنير سلطتهم التي ليست على شيء من الفطنة والحرّية والانسانيّة ؟ . . اوما تظلّ تلك القوى مستكنة في قلوبهم كالنار تحت الرماد حتى الخمول . حتى الموت ! . . (كذا)

وختمت بقولها : عليكم اذن ايها الآباء ان تُصلحوا الخلل وتحسموا الداء ! اولادكم في سجنٍ موثقون هلموا فاكسروا قيودهم ، هبّوا الى ذاك السجن وانزعوا من شقائه هؤلاء التعساء . اياكم والتقاعد في سبيل تحريرهم ، بل اسرعوا اليهم اشفاقاً منكم على صحّتهم من ان تعتريها الاسقام فتنهكها وتفسدها مدى الحياة ! ايها الآباء اتركوا اولادكم يمرحون في الحقول والمروج تارةً يتسلّقون الاهضاب وطوراً يهبطون في السهول . بين ازهار تنعش بعطرها ، وطيور تطرب بتغريدها ، ومناظر تفتن ببدائعها ، حتى اذا قضوا النهار على ذاك المنوال ، وهمَّ اولادكم بالاياب — لو احبّوا ! — فلا شكّ انهم يشعرون بانفسهم وقد قطعتْ مرحلةً بل مراحل في طريق الكمال ! . . . ولو تحقّق ذاك في بضع ساعات فما عسى النتيجة ان تكون مدة اشهر او سنين ! . . (كذا)